الثقافة النفسية المتخصصة

العدد الستون – المجلد الخامس عشر – تشرين أول / أوكتوبر ٢٠٠٤

إذلال وتعذيب الأسرى العراقيين

إذلال وتعذيب الأسرى العراقيين

- سيكولوجية الجندي الأمريكي
- قلق الموت وتوسيع المفاهيم
- الضحية بين الرهاب والإرهاب
- النفس المقهورة
- لقاء مع د. عبد الستار ابراهيم
- الماريغوانا والشيزوفرانيا

مركز الدراسات النفسية والنفسية ـ الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس ـ لبنان- شارع عزمي ـ بناية قاديشا ص.ب 3026 ـ التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail: ceps 50@hot mail.com

الثقافة النفسية المتخصصة

WWW.psyinterdisc.com

Psychologie Interdisciplinaire — Interdisciplinary Psychology

الطب النفسي | السيكوسوماتيك | العلاج النفسي | تحليل نفسي | أدوية نفسية | الكوارث | علم النفس

السمنة وعلاجها النفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير السعر : دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من أشكال إدمان الأكل. عارضا لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لأسبابها. ودون إهمال لإقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة. حيث يصنفها المؤلف ومعها إضطرابات الأكل عامة في إطار الإضطرابات السيكوسوماتية. للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ أوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية. حيث اللغة المشتركة تؤمن تضافر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

إقرأ في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الألم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الألمان المعروفين. ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي....

سيكولوجية أطفال الإنتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / أبريل السعر : دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة. تصور خطة لعلاج الأطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

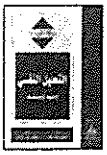

أ.د. أنور الجراية

العدد الثامن والاربعون / اوكتوبر السعر دولارات

يحتوي الملف على البحوث والمقالات التالية: المراهق والسلطة. سلوكيات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتذبذب الأسري. والمراهق والامتحانات. للمزيد

شروط النشر
الهيئة الإستشارية
مؤتمرات المجلة
ملفات المجة
دليل الموقع

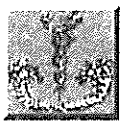
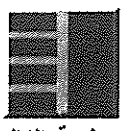
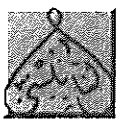

الصفحة التالية

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتخصصة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق — عبد القادر الأسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين — سلمى المصري دملج

سامر رضوان — جليل شكور

الهيئة الاستشارية

احمد عبد الخالق جامعة الكويت. كلية الآداب.
احمد أبو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
اسامة الراضي مجمع الراضي للطب النفسي.
اليزابيث موسون عضو شرف في محافل عالمية.
انور الجرابة مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الرشيدي رئيس مجلس امناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين الشمس.
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
فتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة أم القرى / السعودية.
عبد الستار إبراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الآداب.
فاروق السنديوني جامعة واغا واغا / أستراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / ابو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد حمدي الحجار أستاذ الطب النفسي السلوكي / سوريا.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي

الأفراد ٤٠ دولاراً أميركياً - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي- ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركيا

قواعد نشر البحوث
في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في فروع العلوم النفسية كافة، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث عبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب. وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية، وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1 - الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.

2 - أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كاتبه.

3 - أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.

4 - أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.

5 - أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.

6 - كتابة العناوين وسط السطر والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.

7 - إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.

8 - السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1 - كتابة عنوان البحث واسم الباحث ولقبه العلمي والجهة التي تعمل لديها على صفحة الغلاف.

2 - يراعى في إعداد قائمة المراجع ما يلي:

تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.

3 - تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السري وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.

4 - توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.

5 - الآراء الواردة في المجلة تعبر عن راي كتابها ووجهات نظرهم.

6 - تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.

7 - لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

المحتويات

- عزيزي القارئ 7
- قضية حيوية

الضحية بين الرهاب والإرهاب 9
- علم النفس حول العالم 11
- مقابلة العدد

مقابلة مع الدكتور عبد الستار إبراهيم 17
- جمعيات نفسية عربية

المجلس العربي للطفولة والتنمية 27
- الندوات والمؤتمرات 31
- مكتبة العدد 43

- الكتلة الحاسمة: كيف يقود الشيء إلى عكسه 43
- الأساليب التي يستخدمها الإرهابيون 45
- النفس المقهورة – سيكولوجية السياسة العربية 49
- ملف العدد 55

إذلال وتعذيب الأسرى العراقيين

- بالإنجليزية

قلق الموت وتوسيع المفاهيم

87.....Expanded Perspectives On Death Anxiety

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص.ب 3062 التل/فاكس 438925-6-961 هاتف 441805-6-961

1- **سيكولوجية السياسة الإسرائيلية -النفس المغلولة**

إصدار 2001 (عشرة دولارات)

2- **سيكولوجية السياسة العربية -العرب والمستقبليات**

إصدار 1999 (عشرة دولارات)

3- **العلاج النفسي للأسرى وضحايا العدوان**

إصدار 2001 (عشرة دولارات)

4- **الصدمة النفسية -علم نفس الحروب والكوارث**

(ستة دولارات)

5- **الثقافة النفسية المتخصصة**

(مجلة فصلية)

- *اشتراك سنوي $40*
- *اشتراك شامل $100*
- *اشتراك مؤسسات $100*
- *اشتراك مدى الحياة $500*
- *مجلة عام سابق $40*
- *اشتراك إعلاني (يتفق عليه)*

6- **أصول الفحص النفسي ومبادئه**

ط3 (عشرة دولارات)

7- **قراءات مختلفة للشخصية -تحليل لشخصيات**

نجيب محفوظ. (ستة دولارات)

8- **المعجم النفسي**

مصطلحات طبية ونفسية وعصبية

(ذياب والجراية وعمار) (أربعون دولار)

9- **الدليل النفسي العربي**

(عشرة دولارات)

10- **معجم مصطلحات الطب النفسي**

(عشرة دولارات)

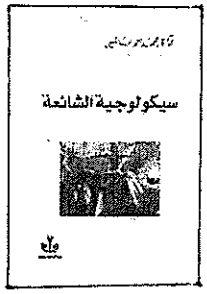

عزيزي القارئ

لم يعد اختصاصنا بقادر على قبول الأسر في نطاق اللياقة النفسية الفردية، فالأحداث الكارثية التي يتعرض لها الإنسان العربي كانت كفيلة بتحويل الكارثة من فردية إلى جماعية، ومن مادية معرفة الأضرار إلى معنوية تطال اللاوعي الجماعي، وتهدد قيم الأنا العليا الجماعية. وهذا الواقع المؤسف هو الذي دفع بهيئة التحرير إلى تركيز الاهتمام على ميدان الدراسات الكارثية. فكانت ملفات "سيكولوجية الحروب العربية " و "سيكولوجية أطفال الانتفاضة " و" سيكولوجية الأزمات " و "الحرب النفسية " وغيرها من الملفات. وفي هذا العدد نعرض لدراسة أعدها الزميل العراقي حسين سرمك حسن تحت عنوان: "إذلال وتعذيب الأسرى العراقيين / قراءة نفسية – اجتماعية في العدوانية الأميركية " . وفيها يتداخل النفسي بالاجتماعي فالسياسي، حيث جاء المعذّبون وفي ذهنهم صورة نمطية للإنسان العراقي والعربي عامة، وتعاملوا وما زالوا يتعاملون معه وفق هذه الصورة المنمطة.

كما يتضمن العدد مقابلة مع الدكتور عبد الستار إبراهيم، وعروضاً للكتب التالية: 1 .الكتلة الحاسمة: كيف يقود الشيء إلى عكسه. و2. الأساليب والوسائل التقنية التي يستخدمها الإرهابيون. أيضاً يحمل العدد تعريفاً بالجمعية العربية لتنمية الطفولة بالإضافة إلى بقية الأبواب الثابتة المعهودة وهي: " علم النفس حول العالم " و"الندوات والمؤتمرات " و"قضية حيوية " . حيث تحمل قضية هذا العدد عنوان: "الضحية بين الرهاب والإرهاب " . وفيها الضبابية السياسية لمفهوم الإرهاب، بحيث تتحول الضحية إلى متهمة بالإرهاب. في حين ينعم الإرهاب الحقيقي بتغطية دلالية لغوية لا يمكن اختراقها. أو حتى مناقشتها. لأنها مدعومة بالقوة. والقضية تصب بدورها في إطار ملف العدد حول العدوانية الممارسة على الشعب العراقي والشعوب العربية، والمسلمة عموماً.

كما يتضمن العدد مقالة بالإنجليزية بعنوان: قلق الموت وتوسيع المفاهيم
Expanded Perspectives On Death Anxiety

على أمل أن يلقى هذا العدد قبول القارئ وأن يكون دافعاً لمناقشة الإشكاليات التي يعرضها على مسؤولية كتابها. نودعك في هذا العدد الأخير من العام 2004 راجين أن يكون العام القادم أكثر رحابة لمواضيع خارجة عن إطار الكوارث.

اسرة التحرير

العلاج النفسي للأسرى
وضحايا العدوان

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية 2001.

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعا في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

كما كان للمؤلف السبق في نشر أول الترجمات للبحوث العالمية في هذا المجال ونشرها تحت عنوان – الصدمة النفسية / علم نفس الحروب والكوارث – في العام 1992.

أيضا شارك المؤلف ببحوث في هذا المجال وذلك في عدة مؤتمرات عربية وعالمية.

هذا السبق، متعدد الصعد، يكرس الدكتور محمد أحمد النابلسي كمؤسس لفرع سيكولوجية الحروب والكوارث في الوطن العربي.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

قضية حيوية

الضحية بين الرهاب والإرهاب

قبل شهرين من توقيع تفاهم نيسان بين المقاومة اللبنانية و"إسرائيل" قال جايمس بيكر، وزير الخارجية الأميركي الأسبق، ما نصه:... إن سوريا تعتبر أن ما يجري داخل "إسرائيل" مقاومة وليس إرهاباً... ومن خبرتي أقول إن فتح الحوار معهم حول مفهوم الإرهاب وتعريفه يعني هدر الكثير من الوقت.. فهم يسمون " مقاومة " قيام الانتحاريين بلف أنفسهم بالأحزمة الناسفة وتفجير أنفسهم وسط الأبرياء. وهو عمل إرهابي واضح...

خلال حديثه استخدم بيكر تكراراً تعبير "نحن الأميركيين" فماذا عسانا نقول "نحن العرب"؟

نحن نعيد ونكرر إلى حد الملل قصة الإسكندر والقرصان، حيث دافع القرصان عن نفسه بالقول للإسكندر: أنا أسرق سفينة فأدعى لصاً وأنت تسرق العالم فتدعى إمبراطوراً !.

وها هي الحرب الأميركية على العراق تبين أن العولمة لم تكن سوى تورية لدلالة الأمركة. وفيها الليبيرالية ومتفرعاتها من الحقوق والديموقراطيات، وغيرها من الشعارات التي تكشفت عن كونها مجرد خدع سينمائية لخدمة المصالح الأميركية.

نحن العرب، وبعد حرب العراق، أصبحنا نختلف مع (هم الأميركيون) حول تعريف كل هذه المصطلحات، كمثل الديموقراطية وحقوق الإنسان ورعاية الضحايا والبيئة والحيوان..إلخ. فالدلالات الأميركية لهذه المصطلحات تنتمي إلى قاموس الإسكندر الإمبراطوري أكثر من انتمائها إلى الألف الثالث الجديد وطموحات الإنسان فيه.

نحن لا ننكر أن الانتحاري يقتل مدنيين أبرياء، لكننا ندعو للالتفات إلى ما يفعله بنفسه أولاً. فهل تراه يفجر نفسه بهذه الطريقة على سبيل الهواية ؟!. ألا يستدعي اختياره لهذه الميتة التفكير والدراسة ؟!. وهل يؤدي تجاهل دوافعه ووصفه بالإرهابي إلى حل المشكلة ؟. أم يكون علاجها على طريقة انتهاك إنسانية المعتقلين على غرار ما فعل المتحضرون في (أبو غريب) وغوانتانامو وغيرهما؟. أو ما يفعله "الإسرائيليون" باعتداءاتهم المستمرة على الفلسطينيين والمجازر المتتالية لنحرهم.

لقد أعلن الأميركيون أنهم لا مبالون بالأمم المتحدة ومؤسساتها وبالعولمة الإنسانية وبالمحكمة الجنائية الدولية. وهي إعلانات تعكس ضمناً سلوك الإمبراطورية الأميركية. وهو سلوك يقسم العالم إلى إرهاب نظيف لملكيته تقنيات الإبادة الحديثة، وهو بالتالي متقدم

متطور، وإرهاب لا يملك هذه الإمكانيات ويجب القضاء عليه. فالقضاء على الإرهاب الفقير يوفر على الإرهاب المتمدن ممارسة إرهابه ويتركه للانشغال ببناء إمبراطوريته الجديدة. وذلك يوفر أيضاً وقت الوزير بيكر كي يتمكن من مجاراة المحافظين الجدد الذين أعلنوا العالم صراحة على أنه مستعمرة أميركية. وهي صراحة كان على العالم تقديرها منذ ناغازاكي وهيروشيما وحتى العراق. حيث يدعونا الواجب إلى تقدير الهبات والتضحيات الأميركية لتخليصنا من الحكام الأوتوقراط، ولتلقيحنا بالديموقراطية ورفع مستوى إنسانيتنا بحرية ندفع كراماتنا ثمناً لها!!.

إن الضحايا العرب لا يتعرضون فقط للخطر والإذلال والإبادة، بل يحشرون في غوانتانامو و"أبو غريب" في ظروف عيش غير إنسانية، وتحت ضغط ممارسات وحشية مذلة. فطوبى للأموات من بين هؤلاء الضحايا.

شعوبنا تعاني، وطليعة المعاناة سياسة الإفقار المفروضة على بلادنا. فلو تكرم الأميركيون بترك بورصة النفط على طبيعتها لخرجنا من قائمة الفقراء. وهو خروج كان كفيلاً بقلب تقارير التنمية العربية إلى عكسها. وهذا لا يعني التهرب من مسؤولياتنا في التعامل مع هذا الفقر الزاحف إلينا والمفروض علينا. بل هو يعني أن الإفقار هو رأس معاناتنا وأولها. فالقليل من المال كفيل بتأمين مياه الشرب الصالحة، ورفع مستوى التعليم والدخل والإعمار والاتصالات والحريات المرافقة لها.

بعد كل ما تقدم نقول إن شعوبنا تعيش حالة رهابية – خوافية من التهديدات الأميركية لكرامتها وتراثها وعقائدها وجغرافيتها. وهو ما يجعلها شعوباً – ضحايا تتعرض لأنواع الإرهاب المتطور والمبرمج، فلا يبقى أمامها سوى محاولة صد هذه المخاوف بالسبل المتوافرة لها، وكلما كانت هذه السبل أقرب إلى تمني الموت أشلاء، كان ذلك عاكساً لحجم العدوان والتهديد والقهر. وعليه فإننا نأمل أن ينخفض هاجس تمني الموت بين شبابنا واستبداله بقناعة قدرة الآخر على التعاون والتصرف بإنسانية بعيدة عن إيقاع عشرات آلاف الضحايا بقرار أرعن واحد. وهذا الأمل لا ينفي مسؤولية النفسانيين العرب في علاج ضحايا صدمة الحرب العراقية داخل العراق وخارجه.

إعداد رمزية نعمان – سناء شطح – نشأت صبوح

الماريغوانا تسبب حالة مؤقتة من الشيزوفرينيا

أعلن باحثون أميركيون من جامعة ييل الأميركية أن الماريغوانا تصيب متعاطيها بصورة مؤقتة بأعراض تشبه تلك التي يسببها مرض الشيزوفرينيا، مثل الارتياب والخوف المرضيين، إضافة إلى اضطرابات الذاكرة والانتباه. وقال الدكتور كيزيل دو سوزا -أستاذ الطب المساعد في جامعة ييل الذي قاد فريق البحث - إن هذه الدراسة هي محاولة لاستكشاف العلاقة بين الماريغوانا ومرض الشيزوفرينيا.

وكانت دراسات سابقة لمواد الأمفيتامينات والكيتامينات توصلت إلى أن هذه المواد تعطل –في الدماغ – المستقبلات العصبية التي تقوم في الأحوال الطبيعية باستقبال ناقلات عصبية.

وتعمل الدراسة الجديدة في الخط البحثي نفسه، حيث اتضح أن الماريغوانا تقوم بتعطيل مستقبلات عصبية في الدماغ، ومن ثم فإنها قد تساهم في المسار المرضي – الوظيفي المؤدي للشيزوفرينيا.

وقد قام الباحثون بإعطاء عدة أشخاص مادة Delta-9-THC وهي المكون الفعال في الماريغوانا. بعدها قاموا بفحص أدمغة هؤلاء الأشخاص بحثاً عن أي قابلية أو احتمال للإصابة بالشيزوفرينيا.

ووجد الباحثون أن بعض الأشخاص أُصيبوا لفترة تتراوح بين نصف ساعة وساعة بأعراض تشبه أعراض الشيزوفرينيا كالارتياب المرضي، والأفكار الغريبة، والشعور المرضي بالاضطهاد (بارانويا)، والتبلّد، واضطراب التفكير، وانخفاض الاستجابة، وانخفاض القدرة على التفاعل مع الباحثين الذين أجروا الدراسة، إضافة إلى اضطراب الذاكرة والانتباه.

والشيزوفرينيا هو مصطلح يشير إلى مجموعة من الاختلالات العقلية طويلة المدى، تتمثل في اضطرابات التفكير والإدراك والشعور والسلوك، ولم يتم تحديد أسباب ذلك المرض بدقة حتى الآن.

هرمون الذكورة مسكّن طبيعي للألم

توصل باحثون أميركيون إلى أن هرمون الذكورة يعمل مسكناً طبيعياً للألم، إذ أنه يقلل شعور الذكور به. من جانبها قالت الدكتورة ميشيلا هاو -الأستاذة في جامعة برنستون الأميركية، والتي قادت فريق البحث- إن ذلك الاكتشاف قد يفسر قدرة الرجال على تحمل الشجار والمعارك، وهي المواقف التي يتزايد فيها إفراز هرمون الذكورة في الدم.

وقد أجرى الباحثون تجاربهم على ذكور عصافير الدوار، حيث حقنوها بمستخلص هرمون الذكورة (التستوستيرون)، ثم قاموا بقياس التفاوت في سرعة استجابة العصافير للألم بعد ذلك.

وقد تمكن الباحثون خلال تجاربهم من تحديد نقطة الشعور بالألم لدى ذكور العصافير بوضع أحد أرجلها في ماء ساخن، عند درجات حرارة متفاوتة، ثم كان يتم قياس الفترة التي يستطيع العصفور تحملها ورجله مغمورة في الماء عند درجة حرارة معينة.

وبعد عدة تجارب توصل الباحثون إلى أن ذكور العصافير غير المحقونة بالهرمون تستطيع تحمل درجات حرارة أقل من 51 درجة مئوية.

وعندما تم حقن ذكور العصافير بهرمون تستوستيرون، استطاعت هذه العصافير تحمل درجة حرارة 52 درجة مئوية لفترات تفوق بثلاثة أضعاف فترات تحمّل العصافير التي تعرضت لدرجة الحرارة نفسها، ولكنها لم تحقن بالهرمون، مما يشير إلى أن الهرمون يرفع قدرة العصافير على تحمل الألم.

بعد ذلك حقن الباحثون العصافير بدواء مثبط للهرمون، فوجدوا أنها صارت أكثر حساسية للألم عند درجة حرارة 48 درجة مئوية.

وقد خلص الباحثون في نهاية أبحاثهم إلى أن هرمون الذكورة غالباً ما يستحدث مجموعة من التفاعلات التي تنتج بدورها مستويات عالية من مسكنات الألم الطبيعية المسماة (الانكفالينات).

ويذكر أنه في حالات أمراض الألم المزمن في الرجال، يحصل المرضى على أدوية مسكنة، تنتج آثاراً سلبية، منها تخفيض هرمون الذكورة، مما يؤدي بدوره إلى زيادة الشعور بالألم. لهذا، ووفقاً للدراسة الجديدة، قد يكون مفيداً أن يتعاطى هؤلاء المرضى مستخلصاً أو بديلاً لهرمون الذكورة لتخفيف الألم، كما أشار الباحثون.

وكانت مجلة نيورولوجي نشرت دراسة تقول إن الأشخاص ذوي المستويات المنخفضة من هرمون الذكورة في الدم أكثر عرضة للإصابة بمرض الزهايمر.

استخدام الطفل لإحدى يديه يتحدد في الرحم

قال علماء إن تفضيل الطفل استخدام يده اليمنى أو اليسرى يمكن أن يتحدد في الرحم مبكراً عندما يبلغ عمر الجنين نحو عشرة أسابيع. فقد وجد العلماء -بعد أن أجروا فحوصاً بالأشعة فوق الصوتية على ألف من الأجنة، وتابعوا تطورات نموهم بعد الولادة- أن الطفل يميل إلى استخدام يده اليمنى إذا كان يفضل مص إبهام يده اليمنى أكثر من إبهام اليسرى عندما يبلغ عمره ما بين عشرة و12 أسبوعاً. وقالت مجلة نيو ساينتست إن اليد التي تفضل استخدامها وأنت جنين في الأسبوع العاشر هي اليد التي ستفضل استخدامها بقية حياتك. وتمثل تلك النتائج التي توصل إليها بيتر هيبر وباحثون بجامعة كوينز في بلفاست في إيرلندا الشمالية تحدياً للتفكير السائد حالياً، والقائل إن ميل إنسان لاستخدام يد بعينها لا يتبلور حتى بلوغه الثالثة أو الرابعة من عمره.

طول مشاهدة التلفزيون تؤدي إلى زيادة الوزن

أفادت دراسة نيوزيلندية بأن آثاراً سيئة على الصحة لدى بلوغ سن الرشد تنجم عن مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة، مثل الوزن الزائد والكوليسترول. وفي تعليق له قال طبيب الأطفال الأميركي ديفد لودفيغ من مدرسة هارفارد الطبية في بوسطن: إن الدراسة حجة إضافية لحظر الإعلانات الدعائية للأطعمة الموجهة للأطفال. وأضاف إن تدابير للحد من مشاهدة التلفزيون في مرحلة الطفولة ومنع الإعلانات الدعائية للأطعمة الموجهة للأطفال مبررة قبل برمجة جيل جديد يتسم بالسمنة. وأكد أن ذلك يزيد إلى حد كبير استهلاكهم للسعرات الحرارية. وكان من المسلم به أن السماح للأطفال والمراهقين بمشاهدة التلفزيون ساعات طويلة ينعكس سلباً على صحتهم بزيادة الوزن ومشاكل صحية أخرى. وتعود أول دراسة وطنية تربط بين السمنة لدى الأطفال والتلفزيون إلى 1985. لكن حتى الآن لم ينظر في عواقب مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة على المدى الطويل والعادات السيئة التي ترافقها مثل قلة ممارسة التمارين الرياضية، وتناول أغذية غير صحية. وللحصول على نتائج أفضل راقب روبرت هانكوكس، الاختصاصي في الطب الوقائي من جامعة دانيدن بولاية أوتاغو نيوزيلندا، وزملاؤه نحو ألف طفل في منطقتهم منذ الولادة بين عامي 1972 و1973 وحتى سن الـــ26. وتبين أن الأولاد والمراهقين الذين يشاهدون التلفزيون ساعتين أو أكثر في اليوم أكثر عرضة للسمنة والتدخين والإصابة بالكوليسترول وبأزمات قلبية وفي جهاز التنفس. ويؤكد معدو الدراسة أن الكثير من هذه العوامل السيئة لدى الشباب قد

يكون لها آثار سلبية على المدى الطويل. ويعاني 17٪ من هؤلاء الشباب في سن الـ26 من الوزن الزائد و15٪ من نسب عالية من الكوليسترول، بينما يعتاد 17٪ منهم على التدخين نتيجة مشاهدة التلفزيون لأكثر من ساعتين في اليوم خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة حسب الدراسة.

المجهود العقلي يقلل احتمال الإصابة بمرض الزهايمر

توصل فريق بحث من جامعة كيس ويسترن الأميركية في كليفلاند إلى الربط بين متطلبات الجهد العقلي لمهنة الشخص واحتمال إصابته بمرض الزهايمر في مرحلة لاحقة من العمر. جاء ذلك في دراسة نشرت بعدد 10 أغسطس/ آب من مجلة أكاديمية علم الأعصاب الأميركية "نيورولوجي".

وقد أجرى فريق البحث بقيادة الدكتورة كاثلين سميث من مركز الذاكرة والشيخوخة في الجامعة دراسته على عينة من 122 مريضاً بالزهايمر و235 شخصاً لم يصابوا بالمرض، وكلهم قد تجاوز الستين من العمر. وجمع الباحثون معلومات حول التاريخ المهني لأفراد العينة على مدى الأربعين عاماً من سن 20 إلى 60 عاماً.

ووجد الباحثون أن الأشخاص المصابين بمرض الزهايمر مارسوا أعمالاً تتطلب مجهوداً عقلياً منخفضاً، مقارنة بنظرائهم الذين لم يصابوا بالمرض.

ولم يقتصر تصنيف مهن أفراد العينة على أعمال إدارية (مكتبية) وأخرى عضلية، بل تناول كذلك مهام العمل أو المهنة. وتم تصنيف العمل كمحفز للمجهود العقلي بناء على مستوى تعقيده أو تركيبه وتنوع مهامه واحتوائه على تفكير إبداعي أو معالجة للبيانات والمعلومات. أما المهن الأقل طلباً للجهد العقلي، فهي التي تنطوي على مهام روتينية أو متكررة.

ولاحظ الباحثون أن متطلبات المجهود العقلي للمهن في عقد العشرينيات من أعمار أفراد العينة لم يظهر له ارتباط بنشوء مرض الزهايمر لاحقاً. لكن ابتداء من سن أواخر الثلاثينيات وجد الباحثون أن الأفراد الذين لم يصابوا بالمرض مارسوا مهناً تتطلب مجهوداً عقلياً أعلى من نظيره الذي تستدعيه مهن الأفراد الذين أصيبوا لاحقاً بالمرض. ووجدوا أن الفروق المهنية بين المجموعتين استمرت خلال الأربعينيات والخمسينيات من أعمارهم.

وترى الدكتورة سميث أن ذلك مرده إلى أن ارتفاع مستوى المتطلبات العقلية للمهنة يسبب تزايد نشاط خلايا الدماغ، ما يؤدي إلى مساعدته على استدامة "احتياطي" من الخلايا التي تقاوم تأثيرات المرض.

ويحتمل أن مهن المجهود العقلي العالي تتطلب مهارات تعزز قدرة الأفراد على الأداء الجيد في الاختبارات المستخدمة لاحقاً في تشخيص مرض الزهايمر. وإذا كان هذا هو الحال فإن المرض لا يتم اكتشافه في هؤلاء الأفراد، إلا بعد مراحل أطول من تلك التي مر بها الأفراد الذين مارسوا أعمالاً ذات متطلبات عقلية أقل.

وتأتي هذه النتائج متوافقة مع دراسة سابقة بقيادة الدكتور روبرت فريدلند، التي ربطت بين أنشطة أوقات الفراغ المحفزة للعقل -كلعب الشطرنج والمطالعة وتعلم الأجهزة واللغات- وانخفاض احتمال الإصابة بمرض الزهايمر أواخر العمر، فمن المهم إدراك الارتباط بين الزهايمر ومناشط الحياة اليومية، إضافة إلى الغذاء والنشاط الرياضي.

يذكر أن هذه الدراسة لم تأخذ بالاعتبار الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والمتطلبات البيئية للمهن، لكنها أخذت في الاعتبار مستويات الأفراد التعليمية.

الشباب يتهافتون على الفياغرا أكثر من الكبار

كشفت دراسة أجرتها شركة إكسبرس سكربتس أن اعداداً متزايدة ممن تقل أعمارهم عن 55 عاما يتناولون عقار الفياغرا الذي يوصف لمن يعانون من الضعف الجنسي. وأوضحت الدراسة التي أجريت على خمسة ملايين شخص من المؤمّن عليهم، واستمرت في الفترة من 1998 وحتى 2002، أن من يتزايد إقبالهم على الفياغرا هم في الفئة العمرية من 18 إلى 55 عاماً.

وأضافت أن عدد من تزيد أعمارهم على 45 ممن يستخدمون العقار تضاعف إلى ثلاثة أمثال أثناء فترة الدراسة. وذكرت الدراسة التي نشرت في الدورية الدولية لأبحاث العنة أن قليلين يتناولون الفياغرا لأنهم بحاجة إليها طبياً.

وقالت الشركة في بيان إن هذه النتائج تشير إلى استخدام متزايد لذلك العقار كعامل معزز أو مساعد في الاستجمام، ومع ذلك فإن غالبية مستخدمي الفياغرا تزيد أعمارهم على 56 عاماً.

ويعمل العقار على زيادة تدفق الدم، ويمكن أن يساعد من يعانون من العنة بسبب مرض البول السكري وأمراض القلب وحالات أخرى. وتزايد استخدام الفياغرا من 0.8٪ لدى عينة البحث عام 1998 إلى 1.4 عام 2002 أي بزيادة مقدارها 84٪.

وقالت شركة إكسبرس سكربتس إن هذه قد تكون أنباء سيئة لشركات التأمين التي تغطي احتياجات عملائها. وبلغت عائدات مبيعات الفياغرا 1.9 مليار دولار عام 2003.

الدكتور محمد حمدي الحجار
العلاج السيكوسوماتي المعرفي

تقديم الدكتور محمد أحمد نابلسي
مركز الدراسات النفسية- 2004

أهمية هذا الكتاب أنه جمع خلاصة التجربة العيادية لمؤلفه الذي يضمنه حالات عيادية ومقالات نظرية تصلح لأن تكون دليلا للمعالج النفسي في مجال العلاج المعرفي. كما يصلح الكتاب للراغبين في الاستفادة من هذه النظرية للتخلص من معاناتهم النفسية المزمنة و/أو الراهنة، من مواقف نفسية كانت عصية على الهضم الفكري والذكروي. وفي هذه الحالات تسيطر ذكريات هذه المواقف على سلوك الشخص وردود فعله، فتصيب وعيه بالكدر، وتعيق فهمه لحقائق الأشياء، فيتحول موقفه إلى التوقع، ويفقد القدرة على الانتظار، ومعها القدرة على استيعاب الجديد وإمكانيات تطوير ردود فعله، وتجاوز أزماته، خاصة وأن النفسي يمكنه أن يتمازج مع الجسدي في هذه الأزمات وردود الفعل. وهي وضعية تربك الأطباء العضويين وتدفعهم لإدراج هذه الحالات في إطار الحالات غير الشخصية عضويا، حيث لا يفوت المؤلف التركيز على الرابط النفسي والجسدي الذي يقوده لمناقشة المواضيع السيكوسوماتية، حيث الشدة النفسية تؤثر على جهاز المناعة فتفتح الأبواب أمام الأمراض المناعية المختلفة. كما يمكن للاكتئاب أن يلبس قناع الشكاوى الجسدية دون إهمال إمكانية ارتباط الاكتئاب بأسباب عضوية، مما يقتضي عدم الفصل بين النفسي والجسدي في تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية والجسدية.

مقابلة العدد

وجها لوجه : أ. د. عبد الستار إبراهيم

" سنوات الحصاد في الإبداع وعلم النفس "

أجرى الحوار ماجد غالب كامل

بريد إلكتروني : dribrahm@kfupm.edu.sa

مقدمة:

تبقى قضية الإبداع قضية حيوية وهامة، لأنها قضية الإنسان الذي يصنع و يكتشف ويضيف. يصنع الحضارة ويضيف لحياتنا بعداً جديداً، ويكتشف معانٍ أعمق، وإجابات مبتكرة لما يحيط بنا من مشكلات وأسئلة. ويبقى المبدعون وإنتاجهم الثروة الحقيقية لأية أمة تريد النهوض بنفسها وأبنائها. ويعد علم النفس من العلوم الأساسية التي تناولت ظواهر الإبداع بالبحث والتحليل: ويعد الدكتور عبد الستار إبراهيم من العلماء المتخصصين المعاصرين في علم النفس في الوطن العربي، ممن أثروا دراسة هذا الموضوع، سواء من حيث حجم كتاباته، ومن حيث رؤيته الفريدة والرائدة لظاهرة العلاقة بين الإبداع والمرض النفسي. و نستضيف في هذا الحوار عن الإبداع الأستاذ الدكتور/ عبد الستار إبراهيم أستاذ العلوم النفسية واستشاري الصحة النفسية والعلاج النفسي بالمركز الطبي التابع لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، والذي اهتم بدراسة ظاهرة الإبداع وقضاياه ومفاهيمه منذ وقت مبكر، وكان بعد سفره إلى الولايات المتحدة الأميركية وإقامته هناك لفترة طويلة ابتعد قليلاً عن الاهتمام بموضوع الإبداع، ولكنه يعود مجدداً، ومضيفاً حول هذا الموضوع، ونلتقي معه هذا اللقاء لنلقى الضوء حول الكثير من قضايا الإبداع ومشاكله.

❖ المعروف عنك أنك تعمل بالعلاج النفسي والتدريس الجامعي، فهل حدث تحول في اهتماماتك الأساسية وأصبحت مهتماً بالإبداع، ومتى بدأ اهتمامك بدراسة هذا الموضوع؟

❖ ❖ اهتمامي بالأدب والكتابة عموماً بدأ في الحقيقة مبكراً، فقد كانت نشأتي المبكرة في قرية من قرى الصعيد المصري، وكنت مع أخوتي نتنافس في القراءة والاطلاع الأدبي . ولكن مع التحاقي بعد ذلك بقسم علم النفس بجامعة عين شمس اتجه اهتمامي إلى صناع الأدب ودوافعهم للكتابة وأساليبهم في ذلك. ولما كنت آنذاك مهتماً بمدرسة التحليل النفسي. فقد كتبت عدداً من المقالات إثر تخرجي من الجامعة في موضوعات مثل التذوق الفني، والتحليل النفسي للأديب.. إلخ، فكتبت في مجلة الفكر المعاصر التي كان يرأس تحريرها

آنذاك الدكتور "فؤاد زكريا"، ومجلة "المجلة" التي كان يرأس تحريرها آنذاك الأستاذ "يحيى حقي" ومجلة "الكاتب" التي كان يرأس تحريرها في ما أتذكر الأستاذ "لطفي الخولي". كل ذلك وجهني مبكراً للاهتمام بصناع الأدب أكثر من الاهتمام بالأدب ذاته، وظل ذلك الاهتمام ملازماً لي حتى الآن، حيث التحم اهتمامي بالإبداع باهتماماتي المهنية في علم النفس بحثاً، وتدريساً وممارسة للعلاج النفسي لأكثر من ثلاثين عاماً حتى الآن. ويبدو أن تنوع اهتماماتي في علم النفس والطب النفسي جعلني أدرك- ومبكراً- أن الإبداع من الموضوعات التي يجب على علماء النفس أن يولوها اهتماماً رئيساً لا في مجالات الإبداع الفني، وفي مجالات الرواية والأدب فحسب، بل يجب أيضاً أن يكون مدخلاً للصحة النفسية وتكامل الشخصية.

❖ هل كانت دراساتك العليا من الأسباب التي وجهت اهتمامك إلى ذلك، أيضاً؟

❖ ❖ كانت رسالتي للدكتوراه عن (أصالة التفكير) وفيها قمت بتحليلات نظرية وإحصائية مكثفة عن القدرات الإبداعية، وتبين لي بأن الأصالة أو الابتكارية من أحد أهم عناصر الإبداع، وأنها ليست العنصر الوحيد، وبالرغم من أهمية ذلك الكتاب إلا أنه كان مليئاً بالأرقام والإحصائيات والتطبيقات العملية للمقاييس النفسية بالمنهج التجريبي، فأحس الناس أن موضوع الكتاب يحول إلى موضوع علمي جاف.

بعد ذلك نشرت في الكويت كتاب: (آفاق جديدة في دراسة الإبداع) وتضمن هذا الكتاب رؤية عامة لموضوع الإبداع، راعيت فيها أن تكون مهضومة بالنسبة للقارئ العام والملم، وليس للمتخصصين في الإحصاء والعلوم النفسية التجريبية. وقد نشر كتاب آفاق جديدة في الكويت في السبعينات. وما لفت نظري هو سرعة نفاد الكتاب من السوق بالرغم من أنني لم أكن معروفاً للقراء العرب كثيراً، مما دلني على اهتمام الناس بهذا الموضوع. ومع سفري إلى أميركا تغيرت اهتماماتي في علم النفس إلى حقل آخر هو الطب النفسي والعلاج السلوكي. ولكن مع معاودة الاتصال بالمبدعين بعد استقراري في العالم العربي بدأت الاهتمام مجدداً بهذا الموضوع المحبب لدي، فجاءت بشكل اهتمامات معاصرة لموضوع قديم.

❖ أفهم أنك نشرت حديثاً كتاباً عن صلة الإبداع بالمرض النفسي والعقلي، وأفهم أنه يسود لدى الكثير من الناس فكرة ارتباط الإبداع بالجنون أو المرض العقلي، فما هو موقفك وكيف ترى ذلك؟

❖ ❖ ارتباط الإبداع بالجنون فكرة شاعت منذ القدم، ولها جاذبيتها الخاصة عند الناس بما فيهم المثقفين منهم. وقد وقع الكثيرون في فخ هذه الفكرة. وحتى الباحث أو العالم الذي لا يستسيغ هذه الفكرة، فإنه يقوم بذلك بعد أن يفصل في ذكر الأمثلة والشواهد الدالة على ارتباط العبقرية بالجنون، ثم يدحض الفكرة بعد أن تكون قد رسخت في ذهن القارئ الفكرة بأن العبقرية دالة على الاضطراب، وأن المبدع يتسم بالاضطراب النفسي، وربما العقلي. وقد وقعت أنا شخصياً في هذا الخطأ مبكراً ذلك لأنك تتعامل مع الجمهور الذي تستهويه في

العادة الأشياء المثيرة والغريبة. وارتباط الجنون بالعبقرية من الأفكار التي تجتذب الناس أكثر مما لو ذكرت لهم أن الموضوع ليس بهذه البساطة.

❖ تقول إنك وقعت شخصياً في هذا الخطأ مبكراً، فما الذي غير من رؤيتك؟

❖ ❖ عوامل كثيرة، لكن ربما من أهمها شغفي بالبحث العلمي، ومتابعة البحوث التي أجريت في هذا الموضوع، فضلاً عن اهتمامي الشخصي بإجراء البحوث العلمية في هذا الموضوع.

❖ إذاً يبدو أن البحوث العلمية، سواء تلك التي أجريتها بنفسك، أو أجراها غيرك، تشير إلى نتائج مختلفة عما نعرفه عن صلة الاضطراب النفسي بالإبداع؟ هل يمكن أن تذكر لنا بعض هذه النتائج؟

❖ ❖ البحث العلمي يثبت أنه لا صحة لهذا الرأي. فمثلاً، عندما نقوم بتطبيق مقاييس الإبداع والصحة النفسية نجد نتائج مختلفة ولا تستقيم مع فكرة الصلة الشائعة عن العلاقة بين الإبداع والجنون. ولكن نتائج البحث العلمي عن المبدعين تثبت في الوقت نفسه أنهم يختلفون عن الناس العاديين. بعبارة أخرى، هم ليسوا بمرضى، ولكنهم غير أسوياء تماماً. لا تنطبق عليهم معايير المرض النفسي والعقلي كما نفهمها وندرسها للمتخصصين، ولكنهم من جهة أخرى ليسوا أسوياء تماماً، ولذلك ذكرت في فترة من الفترات أن المبدعين يمثلون نمطا راقيا من الأسوياء (Super Normal)، فيهم اختلاف عن الناس العاديين، لكن دون أن لا يكون هذا الاختلاف مؤشراً للمرض النفسي أو العقلي. وهذا ما وقع فيه خطأً مفكرون من القرن الثامن والتاسع عشر، فقد لفت نظرهم شذوذ المبدعين أو اختلافهم في المظهر والتصرفات، مثل الميل للتأمل والانطواء، فاعتقدوا أن ذلك علامة على المرض النفسي. وكان المريض فعلاً هو إنسان مشوش التفكير تحكمه ذاتيته في أشياء كثيرة في حياته، وليس قادراً على أن يرى في العالم بعيدا عن مشاكله وصراعاته، كما أنه فاشل في العلاقات الاجتماعية. في حين أن المبدع الحقيقي هو إنسان رغم اختلافه، فإن لديه القدرة على المثابرة على فكرة معينة وتطويرها ويقوم بأشياء لا يستطيعها المريض النفسي.

❖ ولكننا نقرأ عن الكثير من المبدعين في الآداب والفنون انتهت حياتهم بالانتحار أو مستشفيات الصحة العقلية. فإذا كان سوياً ومتوافقاً مع المجتمع، فكيف ينتهي به الحال إلى ذلك.

❖ ❖ أولاً، دعنا ننظر إلى العباقرة في المجتمع كفئة، فهل تزيد ما بينهم نسبة المرض العقلي عن الفئات الأخرى في المجتمع. هذا غير صحيح في شمال أوروبا كالسويد وسويسرا مثلاً، فقد تبين أن نسبة الانتحار بالنسبة للمجتمع هي (1.8٪) ولكنها تقل لدى المبدعين، فهي (1.2)، إذن ليس هناك ارتباط حقيقي بين الانتحار، كشكل من أشكال الاضطراب النفسي والعقلي، والإبداع. وحتى ولو سلمنا بوجود بعض الظواهر المرضية لدى المبدعين، فإن إبداعهم

لم يكن في فترات المرض. بالعكس كان الإبداع معدوماً تقريباً في فترات مرضهم. "نيتشة" لم يكتب أفضل أعماله في المستشفى العقلي، ولم يرسم "فان جوخ" وهو مضطرب. وأعمال نجيب محفوظ الروائية المتميزة لم يكتبها في خلال الفترة التي كان يعانى منها مادياً ونفسياً. الإبداع ليس مرضاً بل على العكس هو علاج للمرض.

❖ لماذا إذن هذا الربط السائد لدى الناس؟

❖ ❖ ولع الناس بالتفسيرات الغريبة وجاذبية هذه الأفكار لدى عموم الناس. ولا تنسَ أنه في فترة معينة سادت نظريات التحليل النفسي التي كانت تنظر إلى المبدع على أنه إنسان عصابي، وأن إبداعه هو تعويض عن قلقه وأمراضه في العمل الفنى. "فرويد" نفسه قام بعمل دراسته التحليلية عن "ليوناردو دافنشى" من هذا المنطلق، وتعامل مع أحد أهم عباقرة القرن الخامس عشر من هذا المنطلق، أي على أنه حالة مرضية، وعمم هذه النتائج على كل الظواهر الإبداعية في الفن والأدب، ولم يكن لدى الناس وقتها إلا نظرية التحليل هذه.

❖ لو سلمنا جدلاً بوجود نوع من الاضطراب لدى المبدعين، فما هو أكثر هذه الاضطرابات شيوعا، وكيف نفسرها؟

❖ ❖ هناك بعض الدراسات، والتي لا أتفق معها شخصياً، ترى أن المبدعين في مجالات الآداب والفنون خاصة معرضين أو مصابين بما نسميه الذهان الدوري (Bipolar effective Disorder)، وأن نسبة عالية من المبدعين أصيبوا بذلك. والجنون أو الذهان الدوري هو حالة من الهوس الشديد والشعور الزائد بالطاقة، والقدرة على السيطرة، ثم الانتهاء بحالات الاكتئاب والهبوط. ووجهة نظري أن كل ما يقال بالشواهد والأدلة، فإن هناك تزييف منطقي لحقيقة الإبداع. الإبداع ليس اضطراب عقلي، بل هو تنظيم عقلي شديد، وترتيب محكم لجهاز معقد هو المخ والجهاز العصبي إجمالاً.

لكن توجيه هذا الدماغ للإنتاج العلمي أو الفني الذي يحكم عليه الناس بأنه إبداع، ويستفيدون منه في حياتهم ليس كافياً، ولكن ويجب أن نوضح أن العملية الإبداعية تكون مصحوبة بالكثير من الضغوط النفسية والإرهاق العصبي، ذلك أننا نتعامل مع المخ، وهو جهاز شديد الحساسية والتعقيد معاً. إذاً، يعانى المبدع من الضغوط النفسية بسبب طبيعة العمل الإبداعي، وليس بسبب المرض النفسي.

المبدع لحظة ولادة الفكرة يكون أمام عدد من الاختيارات اللامتناهية، وهي عملية ليست سهلة، وتشكل عبئاً على ذهنه، فيظهر كما لو كان مجنوناً بالإضافة إلى الضغوط الخارجية.

وقد تبينت من دراساتي أنه مع المقارنة بالجمهور العادي فإن أكبر نسبة من الإدمان على الخمور كانت بين المبدعين، ظناً منهم أن ذلك يساعدهم على التحكم المزاجي، في حين أن الإدمان كان يزيد من الضغوط، ويعقد الحياة الاجتماعية والفكرية لديهم.

كما تبين أن الكثير من المبدعين يقعون في مشكلات مادية، وخاصة الديون، وذلك بسبب الإسراف لديهم. ويحكى عن "سارتر" أنه كان يبدد أمواله على أصدقائه ومعارفه.

كما يقع الكثير من المبدعين في العديد من الصراعات الاجتماعية، لأن الإبداع بطبيعته عمل غير محافظ ومتجاوز للواقع والمجتمع، وأحياناً يصطدم معه، وهذا يولد مصدراً إضافياً للضغط والإزعاج على المبدع وحياته.

وقد يكون الاصطدام مع السلطة على مختلف أشكالها، حتى مع الزملاء من المفكرين والعلماء. تخيل عالماً يظهر بفكرة جديدة، ثم يقول للآخرين ولزملائه أن أفكاركم خاطئة وقديمة، فسوف يتحرك ضده هؤلاء العلماء (وكأنها آليات دفاع) حفاظاً على مكاسبهم المادية والاجتماعية، وقد يكون ذلك في شكل تحالف ضمني مستتر أو فعلي، وكأنها آليات دفاع.

والمبدعون من المفكرين والكتاب قد يصطدمون مع السلطة السياسية القائمة في مصر. مثلاً عاني يوسف إدريس من ذلك. يوسف إدريس لم يكن مريضاً عقلياً على الرغم من تعاطيه العقاقير المهدئة فترة من حياته، فلم يكن لإنسان مضطرب أن يبدع شيئاً مثل "أرخص ليال" بشفافيتها وإحساسه بالمجتمع وقدرته على تنظيم الانفعال الشديد لديه. ولكنه بعد أن نشر (البحث عن السادات) دخل في مجموعة من الصراعات والمشاكل، و فوجئ بأن كل أصدقائه قد تخلوا عنه، وأن هناك تياراً قوياً ضده بعيداً عن تصوراته الرومانسية السابقة. على الرغم من نشر كتاب (خريف الغضب) لهيكل في الفترة نفسها، وهو عن الموضوع نفسه، أي عن السادات الذي لم يكن مكتوباً بالاندفاع الانفعالي نفسه الذي كتب به يوسف إدريس "البحث عن السادات".

كتاب "إدريس" كان مليئاً بالانطباعات الشخصية واندفاع اللحظة دون توثيق، وكأنه كان يثأر لنفسه مما فعله به السادات قبل مصرعه.

وهكذا دخل د. يوسف إدريس في صراع مع السلطة وقتها لم يحسن تقديره جيداً، فأصيب بالقلب والإدمان وتعطل إبداعه كثيراً.

❖ في أحد اللقاءات مع يوسف إدريس قال إن في الكتابة جزءاً من المرض، ما هو تعليقك على هذا؟

❖ ❖ أتفق ولا أتفق. الإبداع عمل قوي له مكافآته الخاصة الخارجية أيضاً، مثل النشر والشهرة والنجاح واعتراف المجتمع، وعلى المستوى الشخصي يحقق الإبداع للمبدع قدراً من التوازن النفسي، ويخفف من حدة القلق والوتر.

الإبداع هو تركيز للطاقة الذهنية في إطار منظم، وفيه قدر من اللذة أيضاً، هنا العمل الإبداعي رغبة قوية محتاجة للإشباع، ويظل المبدع محكوماً بالمرض ما لم يشبع هذه الرغبة.

العمل الإبداعي إذن يعتبر دافعاً للتخلص من المرض، وليست مرضاً، ومن جهة أخرى أشك في استمرار المبدع في ممارسات الإبداعية إذا تكاتفت عليه المشكلات والتحديات. يوسف إدريس نشرت له أعمال مبكراً في حياته، فحصل له ما نسميه بالتدعيم المبكر بما في ذلك الشهرة والاعتراف بقدراته الإبداعية ومهاراته الأدبية. كل ذلك مكنه في ما بعد أن يحافظ على العمل والإبداع بالرغم من الظروف الصعبة التي عانى منها، وليس بسببها.

وعلم النفس يقول إنه إذا حصل تدعيم وتوقف بعد ذلك فإن العمل يستمر دون التدعيم. وتجارب (سكنر) على الحمام أثبتت ذلك. فقد كان يخضع الحمام للتدعيم المتقطع فتنقر لتحصل على الحبوب فتنجح مرة وتفشل أخرى، ومع ذلك ظلت تواصل بحثها عن الطعام وهذا ينطبق حتى على سلوك البشر، فقد تبين أن الذين يحصلون على التدعيم تظل قدرتهم على العمل مستمرة أكثر من أصحاب التدعيم المستمر.

لو أن كل ما يكتبه الكاتب في وقت مبكر ينشر وينجح، فإنه سوف يستهين وربما يكتئب. ولكن الذي حصل على تدعيم ثم أحبط فإنه يبقى حريصاً على التجويد، ويحسن من مستوى عمله، ويشعر بمسئولية تجاه التدعيم ويحافظ عليه.

❖ إذاً هل ترى أن النجاح المبكر قد يضر بالمبدع وموهبته؟

❖ ❖ أنا ضد فكرة ارتباط ذلك بالعمر. الإبداع المبكر ليس سلبياً. والإبداع لا يظهر إلا مبكراً، وذلك في سن لم يصبح فيه الإنسان أسيراً لمتطلبات الواقع الاجتماعي... فلو قمعنا الإبداع مبكراً، فهذا خطأ في حق الإبداع والمبدع نفسه.

ولكن النجاح موضوع آخر... نعم قد يحمل النجاح المبكر، أو الشهرة المبكرة خطورة. خذ مثلاً إرنست هيمنغواي. المشكلة أن الإبداع يحتاج إلى عزلة وتعمق، ولكن الشهرة لها ضريبة العلاقات الاجتماعية، ووسائل الإعلام المختلفة.

❖ **لوحظ أن الكثير من الحاصلين على نوبل ضعف الإبداع لديهم. هل يكون الخوف من النقد أو الإحساس الكبير بالمسؤولية تجاه النجاح عائقاً دون تلقائية المبدع وانطلاقه؟**

❖ ❖ أتفق معك. الإبداع يجب أن يكون حراً، ودون الخوف من ضياع المصالح. ولكن الإدراك الشخصي يختلف، فقد لاحظ الباحثون مثلاً أن العديد من الحاصلين على نوبل قد تغير إدراكهم الشخصي بعد ذلك. وأنا أرى أن هذا نوعاً من أنواع تطور الشخصية (بناء- اختلاف - امتداد)... عندما يتقدم الإنسان بالعمر بعد الخمسين مثلاً فإن (الأنا) ليست هي الدافع هنا، ولكنها مرحلة التحرر من الذاتية والنرجسية والاهتمام بالقضايا العامة. هذا ما لاحظه (إريكسون) على تطور الشخصية بشكل عام، فإذا مال الإنسان في نهاية حياته إلى التقوقع، فإنه يمرض ويموت مبكراً، في حين أن الشخصية المتكاملة هي تلك التي تواصل امتدادها. الامتداد يأخذ لدى المبدع شكل تنمية لغة جديدة في حياته، وكأن الإبداع انتقل إلى شكل آخر، مثل الاهتمام بقضايا السلام وتنمية البحث العلمي.. إلى آخره.

❖ هل هناك إذاً مرحلة عمرية للإبداع؟

❖ ❖ نعم، هناك فترة خصوبة يزيد فيها الإنتاج العلمي أو الأدبي. في تصوري أن الإبداع لا يتوقف. ولم أسمع بإبداع جيد أو ممتاز ظهر في فترة المراهقة. الإبداع يحتاج إلى فترة نضوج معينة. أعني الإبداع بشكل إنتاج وكثمرة ملموسة ولا أعني القدرة الإبداعية نفسها. ولابد للحصول على فترة الخصوبة من فترة تكوين. لابد من فهم أشياء كثيرة عن موضوعك. من الصعب الإنتاج في موضوع، وأنت لا تعلم عنه الكثير.

من الصعب مثلاً اكتشاف نظرية علمية في موضوع دون تحصيل وقراءة مكثفة في الموضوع، وفي الأدب كان نجيب محفوظ مثلاً مر بمرحلة قراءة نهمة لكل أنواع الأدب الإنجليزي والروسي والألماني، وكانت لدية مرحلة الشباب مرحلة قراءة مكثفة ونهمة، ثم فترات الإنتاج. وهذه عادة ما بين العشرين والأربعين من العمر.

❖ هل يعني ذلك أن الإنسان المبدع إذا لم ينتج خلال هذه السن سيعجز عن إنتاج ابتكارات وإبداعات جديدة بعد ذلك؟

❖ ❖ نعم، سوف تكون في ذلك صعوبة، وخاصة بعد الأربعين، والآن بعد تحسن الوعي الصحي وطول عمر الإنسان في المتوسط، فإن هذه الفترة قد تمتد حتى ما بعد الخمسين، وفي هذه السن يشعر الإنسان بالأمان المادي والإنجاز المهني لكن الإنتاج يبدأ مبكراً عن ذلك ويتزايد مع العمر، ولا تنسَ أن الإنسان بتقدم السن تضعف قواه الجسدية، ولكنه في فترة الشباب، فإنها فترة غنية بالقدرة الحسية والنظرية والحركية، وهذا مهم للإبداع. والكثير من المبدعين استمروا بالإبداع حتى سن متأخرة مثل نجيب محفوظ وبرتراند راسل، و عباس العقاد، و عبد الرحمن بدوي، وغيرهم كثيرون.

ذلك أن الإبداع بعد فترة يأخذ شكل المهنة أو الاحتراف، ويكون من الصعب التخلي عن ذلك، لأنه يحقق إشباعاً وعلاجاً نفسياً ودخلاً مادياً في الوقت ذاته.

❖ ألاحظ أيضاً في بعض كتاباتك أنك ترى أن هناك فروقاً نوعية في شروط الإبداع والعوامل التي تحكمه، فالإبداع في العلم أو الفن والأدب تحكمه خصائص شخصية مختلفة عن بعضها البعض، فكيف تفسر ذلك؟

❖ ❖ بحوثنا العربية والغربية بينت أن المبدعين في العلوم تميل شخصياتهم إلى الإتزان والدقة أكثر، وأن المبدعين في الفنون والآداب أقل من ذلك. وهذا يرجع إلى طبيعة حقل الإبداع نفسه في الآداب. وهناك عوامل الذاتية والانفعال والمشاكل الشخصية التي تؤثر في الشخصية. كما لوحظ أن الإبداع في العلوم والموسيقى يبدأ في سن مبكرة عن الإبداع في الأدب مثلاً.

❖ يبدو أنك تحد من دور العامل الوراثي في الإبداع.

❖ ❖ الإبداع يختلف عن الجوانب الأخرى التي تلعب فيها الوراثة دوراً ملحوظاً كالذكاء. فمثلاً الدراسات العلمية المستفيضة التي أجريت في الفترات المبكرة من القرن العشرين بينت أن عامل الوراثة يلعب دوراً ملحوظاً أقوى من العامل البيئي في الذكاء. والذكاء هو القدرة على التعلم وحل المشكلات بشكل ذكي، ولكن الإبداع هو خلق شيء جديد من عناصر موجودة. في الإبداع دلت الدراسات على أن الإبداع يخضع للتدريب، وأنه مثل عملية النمو يولد ويموت، وقد لوحظ انتشار الإبداع في بعض الأسر مثل (شتراوس) في الموسيقى أو الرياضيات. وهذا يكون دور البيئة في الإبداع أكثر من الوراثة، لأن الإبداع يخضع لعامل التعلم أكثر من الوراثة.

❖ وهل هناك علاقة شرطية أو لازمة بين الذكاء والإبداع؟

❖ ❖ لا، هناك أشخاص أذكياء جداً، ولكن ليسوا مبدعين، ولكن العكس غير صحيح. إذ لا بد أن تحتاج الإبداعات الهامة إلى درجة معينة من الذكاء لا تقل عن المتوسط. لابد من وجود درجة متوسطة من الذكاء لدى المبدع، ولكن الدرجات العالية من الذكاء غير مطلوبة، بمعنى أنك قد تكون لامعاً وذكياً، ولكنك لا تقدر على تولي مسؤوليات الإبداع.

❖ وهل هناك فروق بين الذكر والأنثى بالنسبة للإبداع، خاصة في وجود فروق تشريحية بين أدمغة الرجال والنساء؟

❖ ❖ ناقشت ذلك في كتاب حديث بعنوان علم النفس الحديث: أسس ومعالم دراساته، حيث ذكرت أنني لم أعثر على شيء يظهر أن دماغ المبدع يختلف تشريحياً عن غيره، من الممكن أن يختلف من ناحية النشاط الكيميائي أو الكهربائي. أما بالنسبة لفروق الإبداع بين الرجل والمرأة فقد دلت الدراسات على أن المرأة قد تبرز في الإبداع اللفظي، كما في الشعر والأدب، وأن الرجال يتفوقون في الإبداع الشكلي والرمزي كالرياضيات والرسم أكثر. لكن تذكر أن القدرة على الإبداع تختلف عن التنفيذ العملي للإبداع، إذ لا تزال الظروف الاجتماعية تعطي تيسيرات أكثر للذكور من الإناث، وبالتالي نجد تناقصاً حاداً بين النساء في الإبداع، والشهرة. هذه مشكلة أواجهها في العيادة النفسية مع بعض المريضات اللاتي يتسمن بالإبداع، ولهم إبداعات حقيقية في القصة والرواية، ولكنهم يخفن حتى من إرسالها للنشر، فلا تنسَ أن الفروق اجتماعية وتاريخية، ففرص إثبات النجاح والإبداع أسهل لدى الرجل منها لدى المرأة.

❖ وكيف نستطيع التعرف على بذور الإبداع لدى الأطفال مثلا؟

❖ ❖ الدراسات تقول إن الطفل المبدع ظهر لديه منذ وقت مبكر اهتمامات خاصة، مثل حبه للسؤال، والميل للاختلاف، والنظر إلى الأمور بشكل خاص وغير تقليدي، ولا يردد أفكار غيره، وقد يكون على قدر من الاستهانة بسلطة الأسرة أو المدرسة. فهو ليس صاحب طاعة عمياء أو أدب متصنع.

❖ وكيف نستطيع أن ننمي هذه الموهبة، وما أخطر ما يمكن أن تواجهه موهبة ما في مجتمع معين؟.

❖ ❖ بالتوجيه التربوي للأسرة والمدارس بكيفية التعامل مع هذه المواهب واكتشافها ورعايتها. قد تكون طاعة الطفل العمياء بسبب الخوف، وهو مرض اجتماعي مبكر قد تمارسه الأسرة لقمع الإبداع.

كما أن هناك خطورة في توجيه الإبداع مبكراً نحو حقل معين، وهذا أخطر ما في أنظمة التعليم من فصل حاد بين العلمي والأدبي، لأن الإبداع يحتاج إلى وحدة معرفية، وأرضية واسعة من المعلومات والأفكار ولكن الكثير من المناهج تقتل ذلك مبكراً. ونستطيع أن نلخص الأمراض الاجتماعية التي تقف ضد الإبداع إلى نوعين:

الأول: البناء الاجتماعي العام Culture وهذا يتمثل بالسلطة والإعلام وأدوات النشر وما تبثه أجهزة الإعلام من قيم ومفاهيم للمجتمع.

الثاني: قضايا اجتماعية نوعية: وهو دور تنشئة المبدعين واهتمامهم ودور الأسرة في احتضان المبدع.

فالأسرة التي تشعر أن ابنها يضيع وقتاً كبيراً في الاختلاف عن الآخرين بأفكاره الخاصة، وهم يريدونه أن ينجح ويبرز مادياً واجتماعياً حرصاً عليه ولشعورهم أن لغة النجاح في المجتمع ليست هي لغة الإبداع، فيتم ذلك مثل الإبداع مبكراً... ثم يأتي دور المدرسة والجامعات في إتاحة الاختلاف وتنمية روح الحوار والتفاهم والاطلاع.

❖ وهل لاحظت فرقاً بين طريقة التعليم الغربية والعربية؟

❖ ❖ بالطبع. هناك منافي التعليم الذي يشجع على الحوار والاطلاع والإبداع الشخصي، في حين لاحظت أن الطالب العربي في الدول العربية يميل إلى التماثل والتشابه مع الأفكار السائدة، وإلى الاهتمام بسلطة الأستاذ نفسه، أي محاولة كسب رضا الأستاذ أكثر من الحرص على كسب المعلومة كما أن المعلومة، لدينا هنا أياً كان مصدرها لها قداسة، في حين أن المعلومة هناك قابلة للنقاش وللتغير.

❖ بالعودة إلى عملية الإبداع. هل هناك مراحل لعملية الإبداع و ارتباطها بالقلق؟

❖ ❖ هناك فرق بين القلق المرضى النرجسي، وهذا غير مستقر نفسياً أو اجتماعياً، وهناك التوتر أو القلق المحمود. وهو ما نسميه بالقلق الدافع: ليست هناك حركة بدون توتر لتوجيه النشاط الذهني نحو نقطة معينة هناك قلق للمعرفة والرغبة في التساؤل.

أما عن المراحل الإبداع، فقد وضعت على يد (ويلس) و آخرين بأنها أربع مراحل :

(1) التعلق الأول: وهو الارتباط بفكرة أو مجال للاهتمام، وهذا هو التوتر الدافع، ثم توجيه الذهن نحو هذه المشكلة، والاهتمام بجمع المعلومات والأفكار حولها.

(2) **الاختمار:** وهو اختمار الفكرة، ونجد ذلك في ذهن صاحبها.

(3) **الإلهام:** وهو سطوع الحل للمشكلة بشكل مفاجئ، وهو مرحلة الراحة و الخلاص والتحرر من ضغط الفكرة.

(4) **توتر جديد:** وهو كيف تستطيع أن تصيغ، وأن تضع هذا الإلهام في شكل يفهمه الجميع من معادلة أو أسلوب لغوي أو جهاز، وهو ما نسميه بالتحقيق، وهكذا تتكرر العملية من جديد لتعيد النظر. وكأن عملية الإبداع تأخذ شكلاً لولبياً.

في النهاية نتيجة الإبداع ينبغي أن تصل إلى المجتمع، لأن المجتمع هو الذي يمنح المبدع الاعتراف بقيمة عمله.

❖ وكيف ترى علاقة المبدع بالمجتمع، وكيف يستطيع بعض المبدعين الاستمرار رغم إنكار المجتمع لهم.

❖ ❖ هذا جدل وحوار دائم بين الاثنين، أي المبدع والمجتمع. العمل الإبداعي هو صياغة للعلاقة بالآخرين. في الإبداع تحاول أن تصل للآخرين إما أن يأخذ منك الآخرون، ويشجعونك، أو يرفضون أفكارك، وقد لا تتوافر وسائل النشر، أو أن تجد أشياء غير مفهومة... في رأي الشخصي لو أن آينشتاين ظهر قبل اكتشافه، أو بعده بعشرين سنة، لم يكن ليحقق هذه الشهرة هناك لحظة مناسبة أو كما سماها قدماء اليونان الـ "كايروس" إلا أن جزءاً من موت كثير من المبدعين كان بسبب رفض المجتمع لهم، وعدم تقدير إبداعهم، وهذا أمر مؤسف بالفعل.

❖ هل توجه المبدع أو صاحب الموهبة إلى بعض الأشياء لصيانة موهبته؟

❖ ❖ مقاومة المبدعين للأفكار الخاطئة عن الإبداع وارتباطه بالمرض النفسي أو الجنون، أعني التحرر من الأفكار اللاعقلانية عند المبدعين، أو أن يعتقد المبدع أنه بسبب اختلافه أو تميزه عن الآخرين، فإنه قادر على حل مشاكله بنفسه ودون مساعدة. المبدع يكون مبدعاً في حقل خاص وليس عالماً بكل شيء.

وأن المبدع قد وهبه الله شيئاً ثميناً ينبغي أن يحافظ عليه وأن يصون الحكمة فلا تكون حكمة مجهضة.

يمكن متابعة هذه المقابلة على الشبكة العربية للعلوم النفسية:
http://www.arabpsynet.com/Archives/PI/PI.InterviewIbrahim.htm

جمعيات نفسية عربية

المجلس العربي للطفولة والتنمية

بناء على التوصية الصادرة من مؤتمر الطفولة والتنمية الذي عقد في جامعة الدول العربية في تونس عام 1986، جاء إعلان تأسيس المجلس العربي للطفولة والتنمية في العاصمة الأردنية عمان في نيسان/أبريل 1987 برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز، وبحضور نخبة من المفكرين والمتخصصين والإعلاميين العرب ليكون:

- منظمة عربية غير حكومية ذات شخصية اعتبارية تعمل في مجال الطفولة وما يتصل بها،ورعايتها وتنميتها في الوطن العربي.

- منظمة إنمائية إنسانية متخصصة في شؤون الطفولة و ما يتصل بها تعمل على دعم وتنسيق الجهود الحكومية والأهلية، وتشجيع وتبني الأفكار والدراسات والمشاريع المقررة لرعاية ونماء الطفل العربي، والعمل على إدماجها ضمن خطط ومشاريع التنمية الوطنية.

مقر المجلس:

1 - يتخذ المجلس من مدينة القاهرة في جمهورية مصر العربية مقراً له.

2 - تنظم علاقة المجلس بدولة المقر اتفاقية خاصة لهذا الغرض تحدد شخصيته ووضعه.

3 - للمجلس أن ينشئ فروعاً أو مكاتب اتصال له في أقطار عربية أخرى.

عنوان المجلس:

المجلس العربي للطفولة والتنمية

5 ش بهاء الدين قراقوش - الزمالك

القاهرة - جمهورية مصر العربية.

هاتف: 7358 (20)، 7355 (20)، 7355 (20)، 7355 (20)،

7358 (20)، 73816 (20)، 7381 (20).

فاكس: 73583 (20).

ص.ب: 15 الأورمان

أهداف المجلس:

- حث الحكومات العربية والتعاون معها لتبني سياسات وخطط لتحقيق تنمية مستدامة، بحيث تتضمن بصفة أساسية ضمان حقوق الطفولة وما يتصل بها، وحاجاتها.
- التنسيق والتعاون مع المنظمات والهيئات الأهلية العربية التي تعمل في مجال الطفولة وما يتصل بها، وتعزيز فعاليتها.
- توعية وتعبئة الرأي العام العربي بقضايا الطفولة وما يتصل بها، وحث وسائل الإعلام على تحقيق ذلك.
- تبني واقتراح مشروعات رائدة ومتميزة لتنمية الطفل العربي، وما يتصل بشؤونه، بما يتفق مع خطط المجلس.
- التنسيق مع الجهات المعنية لتنفيذ البحوث والدراسات للتعرف إلى أوضاع الطفولة وما يتصل بها، وكشف حاجاتها.
- توفير المعلومات وتبادلها مع الهيئات ذات الصلة على الصعيدين العربي والدولي.
- توسيع آفاق التعاون المشترك وتوثيقه مع المنظمات العربية والدولية، لتلبية الاحتياجات المتكاملة للطفولة العربية وما يتصل بها، وتبادل الخبرات والتجارب المشتركة.
- الاستجابة للحالات الطارئة والأوضاع الاستثنائية والكوارث والنكبات، وتوفير الدعم والمساندة لمجابهتها، خاصة ما يتعلق بأوضاع الطفولة وحمايتها.

إصدارات المجلس:

- أخبار الطفل العربي: نشرة دورية تعكس نشاطات المجلس والفعاليات الخاصة بالطفل العربي.
- مجلة خطوة: مجلة فصلية متخصصة في الطفولة المبكرة ورياض الأطفال، تنشر دراسات ومقالات وموضوعات موجهة إلى المعلمين والمربين وأولياء الأمور.
- مجلة الطفولة والتنمية: مجلة فصلية، علمية متخصصة محكمة، تعنى بقضايا الطفولة والتنمية على مستوى العالم العربي .
- نشرة آفاق جديدة: " **monograph** ": دراسات تعريفية موجزة تتناول قضايا الطفولة العربية، صدر العدد الأول منها تحت عنوان: "**نحو التصدي لظاهرة أطفال الشوارع عربياً**". والعدد الثاني تحت عنوان: "**نحو تطوير الاستراتيجيات العربية للعمل مع الأطفال المعاقين**".

- **كتاب " أطفال الشوارع "**: ويضم مجموعة الوثائق الخاصة بورشة العمل الإقليمية للتصدي لظاهرة أطفال الشوارع عربياً، وتوصيات تلك الورشة التي عقدت في أيلول/سبتمبر 1999.

- **قيد الطباعة: كتاب " المجالس العليا واللجان الوطنية "**: يضم التقارير القطرية التي شاركت في ورشة المجالس العليا واللجان الوطنية والهيئات التنسيقية في حزيران/يونيو 1999 بالإضافة إلى توصيات الورشة، بهدف تبادل الخبرات، والتعريف بالأعمال وحفز الدول التي لم تنشأ فيها مجالس بعد.

- **الملف الصحفي**: ملف إعلامي يضم القصاصات الصحفية المتعلقة بنشاطات وفعاليات المجلس، وكل ما يختص بمجال الطفولة والتنمية، مما ينشر في الصحف العربية. إضافة إلى ملفات صحفية تتعلق بفعاليات ومناسبات خاصة بالمجلس.

- **الفيلم الوثائقي**: شهد العام 1999 إنتاج فيلم وثائقي (فيديو) مدته 28 دقيقة، يسرد إنجازات المجلس، وذلك بهدف توثيق هذه الإنجازات والتعريف بها بين الأوساط المعنية.

- **مسيرة الطفل العربي**: دراسة توثيقية، حول جهود خبراء ثقافة الأطفال وتوصياتهم 1988: إعداد نتيلة راشد.

- **الطفل العربي ووسائل الأعلام وأجهزة الثقافة**: دراسة ميدانية 1988، إعداد عاطف عدلي العبد، عبد التواب يوسف.

- **الدليل الببليوجرافي** لطفل ما قبل المدرسة في الوطن العربي، 1989

- **رياض الأطفال في الوطن العربي** بين الواقع والمستقبل، إعداد سمير سالم الميلادي، حنان مدحت سراج الدين، 1989.

- **حقائق للحياة**: تحدي إعلامي / إصدار اليونيسيف، ومنظمة الصحة العالمية واليونسكو والمجلس العربي للطفولة والتنمية عمان 1989.

- Bibliography On Public Health and Nutrition Of Children in the Arab World 1943 – 1989, by Samir Miladi and Mohamed El – Ghorab 1989.

- دراسة أهم الجمعيات والمؤسسات التطوعية (الأهلية) المعنية بالطفولة في الوطن العربي، ودليلها الببليوغرافي، إعداد مركز البحوث والدراسات بالمجلس، 1989.

- المؤشرات الأساسية لواقع الطفل في الوطن العربي، إعداد مركز المعلومات والتوثيق، 1989.

- دراسة المؤسسات البحثية العاملة في مجالات الطفولة في الوطن العربي، إعداد مركز البحوث بالمجلس العربي للطفولة والتنمية، 1989.

- التقويم المهني للمعاقين في الوطن العربي. المجلس، اليكسو، المركز المصري للتقويم المهنى. 1990.
- دليل العاملين الصحيين لاستئصال التهاب سنجابية النخاع (شلل الأطفال) المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية 1990.
- الطفولة في إصدارات مؤسسات ودور النشر العربية (دراسة ببليوغرافية)، إعداد أحمد ملكاوى، وهاني وشاح 1990.
- سينما الأطفال في الوطن العربي بين الواقع والتطلعات، إعداد منى الحديدي وعبد المنعم الأشنيهي 1990.
- مواجهة آثار حرب الخليج على الطفل العربي 1991.
- الحلقة البحثية: الرعاية النهارية لطفل ما قبل المدرسة في المجتمع (منظور جديد). المجلس العربي للطفولة والتنمية، مركز المساندة الدولية، مؤسسة هانز زايدل، معهد التنمية الإدارية بالجامعة الأميركية 1991.
- سينما الأطفال، سمير فريد، 1994.
- المكنز العربي للطفولة، القاهرة، 1994.
- اختبار الصور الجانبية لتطور الطفل، البرنامج المنزلي لتثقيف أمهات الأطفال المعاقين 1995.
- توصيات المؤتمرات والاجتماعات واللقاءات العربية في مجال الطفولة، 1995.
- الكشاف التحليلي لتوصيات المؤتمرات والاجتماعات واللقاءات العربية في مجال الطفولة، 1996.
- بحوث حاجيات الطفولة العربية: قراءة تحليلية. المجلس العربي للطفولة والتنمية. مركز البحوث العربية، 1996.
- يوم الطفل العربي: كتالوج مسابقة تصميم وابتكار الشخصية الكرتونية للطفل العربي، 1996.
- البرنامج الشامل لمواجهة مشكلة عمالة الأطفال فى الدول العربية، المجلد الأول ملف المعلومات، إعداد د. ناهد رمزي.

المرأة العاملة وأساليب التنشئة الاجتماعية للطفل (دراسة حالة من المغرب) إعداد شريفة حلمي، 1999.

الندوات والمؤتمرات

1- مؤتمر الشباب من أجل مستقبل أفضل
(الإرشاد النفسي وتحديات التنمية)

25-27 كانون الأول/ديسمبر 2004

تحت رعاية

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
مفيد شهاب	**علي الدين هلال**
وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي	**وزير الشباب**

ورئاسة

الأستاذ الدكتور

صالح هاشم

رئيس جامعة عين شمس

نائب رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور

مراد عبد القادر

نائب رئيس الجامعة لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

أمين المؤتمر	مقرر عام المؤتمر
الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
مصطفى رمضان	**عبد العزيز الشخص**
عميد كلية التربية	**وكيل كلية التربية لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة ومدير مركز الإرشاد النفسي**

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

يتوجه **مركز الإرشاد النفسي** إلى تنظيم مؤتمره الحادي عشر كحلقة ضمن نشاطاته المتعددة في مختلف المجالات العلمية والبحثية والتدريبية، وقد استقر الرأي على اختيار "الشباب" ليكون محوراً رئيسياً لهذا المؤتمر، وذلك من منظور التنمية وقضاياها وتحدياتها، وتفعيلاً للوظيفة التنموية والوقائية للإرشاد النفسي.

إن تخصيص موضوع المؤتمر عن الشباب يحمل بالضرورة خصوصية متميزة، ذلك لأن هذه المرحلة تمثل فرصة ذهبية بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء، فلدى الشباب طاقة تمكنه من عمل ما يريد، أو تحقيق ما يحلم به من أهداف بعزم وتصميم، وهم عماد المجتمع وطاقته الخلاقة، وعدته للرقى والتقدم، وأمضى أسلحته لصنع مستقبل أفضل، وهم الوسيلة والغاية، وبالتالي فإن حسن استخدام الوسيلة واستثمارها لابد وأن يسفر عن تحقيق أفضل الغايات، ومن ثم فإن الاهتمام بالشباب يعكس بالضرورة تطلع المجتمع إلى غد أفضل، نأمل فيه أن تتفتح آفاق التنمية والتقدم لشبابنا كمواطنين، ولمستقبلنا كمجتمع ينشد تحقيق أمانيه في الرفعة والتقدم، وكأمة لها تاريخ وحضارة شامخة، وتعي حاضرها في توجه نحو عالم القرن الحادي والعشرين.

ولعل ذلك هو ما جعل حكومتنا الرشيدة في عهد السيد الرئيس/ **محمد حسني مبارك** رئيس الجمهورية تولي أهمية خاصة وفائقة للشباب، متخذة مختلف السبل لتنمية طاقاته، وتوظيف إمكاناته باعتباره كل المستقبل، والقوة الأساسية للإنتاج والتنمية.... وهو بحق من أقوى وسائل المجتمع في مواجهة تحديات التنمية.

ولا شك أن تنظيم مؤتمرنا لهذا العام بعنوان " **الشباب من أجل مستقبل أفضل** " يعد استجابة طبيعية لتلك التوجهات، وتوقعاً لطرح قضايا الشباب وتحدياته من منظور علمي، وتبصيراً بآفاق تنميته ووقايته في ضوء الجهود البحثية التي ستطرح بالمؤتمر، والمناقشات واللقاءات والحوارات الفكرية التي تثار فيه.

لذا يدعو **مركز الإرشاد النفسي** "وحدة ذات طابع خاص" بجامعة عين شمس السادة الأساتذة الباحثين والاختصاصيين، والخبراء، والمفكرين، ومختلف المهتمين بالشباب وقضاياه بالوزارات والجامعات، والمؤسسات العلمية والبحثية، سواء كانت حكومية أو أهلية إلى تقديم بحوث ودراسات وأوراق عمل، وتقارير، ومقترحات للمشاركة في فعاليات المؤتمر السنوي الحادي عشر للإرشاد النفسي.

مع أطيب التمنيات القلبية...

أ.د. عبد العزيز الشخص

أهداف المؤتمر:

يسعى المؤتمر إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- إلقاء الضوء على طبيعة مرحلة الشباب وخصائصها واحتياجاتها المختلفة (بدنية، نفسية، اجتماعية، تربوية ....).

2- بحث أهم القيم والخصائص والمطالب اللازمة لعملية التنمية الشاملة في المجتمع، وأهم سبل تنميتها لدى الشباب.

3- دراسة أهم الصعوبات والمشكلات التي تواجه الشباب، وتمثل تحديات قد تحد من استثمار طاقاته في التنمية، وبالتالي تعوق مسيرة المجتمع نحو مستقبل أفضل.

4- دعوة الباحثين والمفكرين والخبراء لتبادل الفكر والرأي والخبرة بشأن أنسب التوجهات والأساليب لإعداد الشباب كي يتحمل مسؤولية تنمية المجتمع وتوجهاته نحو مستقبل أفضل.

5- تحديد الأبعاد والمحاور التي يمكن استخدامها في إعداد برامج إرشادية للشباب لحسن تنمية طاقاتهم واستثمارها، بصورة تضمن مشاركتهم الفاعلة في تنمية المجتمع ورقيه.

6- تفعيل دور الإرشاد النفسي في المؤسسات والهيئات المعنية بالشباب، وإقامة جسور التفاعل بينها واستثمار الأساليب الوقائية والتنموية للإرشاد النفسي في هذا الصدد.

7- بحث أهم القضايا المعاصرة المتعلقة بالشباب (مثل: العولمة والهوية الثقافية، والإعلام المفتوح، والقيادة، والإبداع) في ضوء أهداف وأساليب وفنيات الإرشاد النفسي.

8- حث الباحثين والعلماء على إجراء دراسات وبحوث تتناول الشباب بمختلف فئاتهم وإمكاناتهم، في محاولة لتحديد مواطن قواهم وضعفهم، وفى محاولة لحسن استثمار ما لديهم من طاقات، بما في ذلك المتفوقين عقلياً والموهوبين، وذوي الاحتياجات الخاصة

9- تهيئة المؤتمر ليكون لقاء علمياً متميزاً بين نخبة من العلماء والباحثين والمفكرين والمتخصصين من مختلف الجهات والهيئات والمؤسسات؛ لدراسة أفضل الأساليب الإرشادية التي يمكن استخدامها بفاعلية في تنمية طاقات الشباب ووقايتها من التبدد، وذلك من خلال ندوات علمية، وورش عمل، وجلسات بحوث تتناول مختلف الموضوعات والقضايا موضع اهتمام المؤتمر.

محاور المؤتمر :

تنتظم القضايا والموضوعات التي يتناولها المؤتمر في المحاور التالية :

أولاً : مرحلة الشباب: طبيعتها، خصائصها (عضوية، عقلية، نفسية، اجتماعية، انفعالية.....)، حاجاتها، مطالبها.

ثانياً : الشباب والمستقبل: الكفايات والمهارات، التعليم، العمل، الأسرة، المجتمع.

ثالثاً : الشباب ومجتمع المعلومات: ثورة المعلومات ومتطلباتها ، تنمية الوعي المعلوماتي لدى الشباب، إعداد الشباب لتكنولوجيا المعلومات.

رابعاً: الشباب والمشاركة الاجتماعية: تحمل المسؤولية، القيادة، العطاء، الإيجابية، الاهتمام بقضايا المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

خامساً : الإرشاد النفسي وتنمية قدرات الشباب وطاقاته: القدرات والمواهب الخاصة، الإبداع، قضايا الاكتشاف، التعرف، برامج التنمية والرعاية.

سادساً : الشباب وقضايا الحياة المعاصرة: قضايا العولمة، الإعلام ، متطلبات سوق العمل، الواقعية والطموح، الهوية الثقافية، القيم الروحية والحضارية، الانتماء، الاغتراب والتغريب.

سابعاً : الشباب وتحديات التنمية: قيم التنمية، استثمار وقت الفراغ، الثقافة، الرياضة، مواصلة التعليم، التدريب التحويلي، تنمية المرأة، الإنتاج والمنافسة العالمية .

ثامناً : مشكلات الشباب التي تعوق التنمية : من حيث مصادرها ومجالاتها وأنواعها ومظاهرها (مثل: القلق، اضطرابات الشخصية، سوء التوافق الشخصي والاجتماعي، الإدمان، الخروج على النظام...).

تاسعاً : الإرشاد النفسي ومواجهة مشكلات الشباب: إعداد المرشد النفسي، برامج الوقاية من الاضطرابات، إعداد فريق التدخل، اشتراك الأسرة، دور العبادة، وسائل الإعلام، مراكز الشباب.

عاشراً : الشباب ذوو الاحتياجات الخاصة: التعرف، الخصائص، الرعاية التربوية، التأهيل، الدمج، المشاركة المجتمعية.

ندوات عامة:

يتم تنظيم الندوات التالية ضمن فعاليات المؤتمر:

1- الإرشاد النفسي وقضايا الشباب.

2- الشباب والمجتمع العصري (مستقبل التنمية).

3- الشباب والمشاركة الاجتماعية .

4- المرأة وشباب المستقبل .

شروط البحث المقدم:

- يرسل أولاً ملخص للبحث باللغة العربية.
- يقدم البحث مستوفياً للقواعد العلمية المتعارف عليها، ولا يكون قد سبق نشره أو التقدم به لأي جهة أخرى.
- يقدم البحث في ثلاث نسخ باللغة العربية مكتوباً على ديسك الكمبيوتر (IBM) (WORD7) بحجم ورق الكوارتو (A4) ويسلم معه الديسك أيضاً، ونظام الصفحة كالتالي :

- يكون نظام الكتابة في الصفحة 20سم (طولاً) ×13سم (عرضاً) وبنط الكتابة (12) عادي، والعناوين (14) عريض.
- يكتب عنوان البحث في وسط الصفحة وأسفله بمسافة صغيرة اسم الباحث مع وضع علامة❖.
- يوضع خط أسفل الصفحة لكتابة وظيفة الباحث والكلية والجامعة.
- يوضع خط أعلى الصفحات الفردية ويكتب اسم المؤتمر وفي المنتصف مركز الإرشاد النفسي، وفي الجانب جامعة عين شمس، وفي الصفحات الزوجية يوضع خط يكتب أعلاه اسم البحث (كما هو مبين أسفل الصفحة).
- يكتب ملخص للبحث باللغتين العربية والإنجليزية، ويسلم مع البحث.
- عدد صفحات البحث 16 صفحة وكل صفحة تزيد عن هذا العدد يدفع لها رسم (10) جنيهات أو (10) دولارات.

- آخر موعد لتقديم ملخصات البحوث في سبتمبر 2004 والبحوث كاملة منتصف تشرين الثاني/نوفمبر 2004 .
- يقوم المركز بنشر البحوث المقبولة بعد تحكيمها من قبل اللجنة العلمية في مجلد خاص.
- يقوم المركز بتزويد المشتركين من الباحثين بمجلدات المؤتمر ومستلات من بحوثهم.
- يقوم المركز بضيافة المشتركين في المؤتمر (بدون المبيت ونفقات النقل).

يعقد المؤتمر في قاعة المؤتمرات – بدار الضيافة/جامعة عين شمس – خلف المستشفى التخصصي/شارع منظمة الوحدة الإفريقية - العباسية – القاهرة.

نموذج الصفحة الأولى:

المؤتمر السنوي الحادي عشر	مركز الإرشاد النفسي	جامعة عين شمس
عنوان البحث		
اسم الباحث ❖		
❖ وظيفة الباحث – الكلية – الجامعة		

رسم الاشتراك والتسجيل :

- ❖ 350 جنيهاً للباحث المشارك ببحث من داخل مصر.
- ❖ 350 دولاراً أميركياً للباحث المشارك ببحث من خارج مصر.
- ❖ 150 جنيهاً للباحث المشارك بدون بحث من داخل مصر.
- ❖ 150 دولاراً أميركياً للباحث المشارك بدون بحث من خارج مصر.

المراسلات

ترسل جميع المراسلات

باسم السيد الأستاذ الدكتورعبد العزيز الشخص وكيل كلية التربية لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة ومدير مركز الإرشاد النفسي

ومقرر عام المؤتمر - كلية التربية- روكسي - مصر الجديدة/ القاهرة

رمز بريدي : 11757. ت/فاكس: 4558123

Email: cocegypt@hotmail.com

Site: http://cocegypt.8m.com/

2- توصيات ندوة علم النفس وتطلعات المستقبل إلى أقسام علم النفس في جامعات دول مجلس التعاون الخليجي

رعى معالي الشيخ عبد الله بن محمد السالمي، وزير الأوقاف والشؤون الدينية، في قاعة المؤتمرات في جامعة السلطان قابوس الندوة العلمية الثانية لأقسام علم النفس في جامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي تحت عنوان (علم النفس وتطلعات المستقبل في دول مجلس التعاون الخليجي).

أهداف الندوة:

تأتي إقامة مثل هذه الندوات في إطار حرص جامعات دول مجلس التعاون الخليجي، لأهمية علم النفس في مجالات عديدة، التربوية والاجتماعية والبيئية والتقنية، وكذلك لما يساهم علم النفس مع غيره من العلوم الأخرى في تقدم مجتمعاتنا الخليجية في خضم المتغيرات السريعة الذي يشهدها العالم من حولنا، من هنا ارتأت كلية التربية في الجامعة ممثلة بقسم علم النفس لتنظيم هذه الندوة، ويرى القائمون على هذه الندوة الحاجة الملحة لإعطاء أهمية كبرى لدول الخليج العربي للاعتناء بعلم النفس الذي يدخل في ميادين متعددة في حياتنا اليومية، وتحقيق الأهداف الموضوعة لهذه الندوة المتمثلة في:

1. تحديد الدور الذي يمكن أن يقوم به علم النفس في مجالات الحياة المختلفة وتوظيفه في خدمة المجتمعات الخليجية في الحاضر والمستقبل.
2. الوقوف على المشكلات النفسية والاجتماعية التي تواجهها دول مجلس التعاون الخليجي وطرق معالجتها.
3. تبادل الآراء والأفكار والخبرات، ومناقشة المشاريع البحثية بين الباحثين والمتخصصين في مجالات علم النفس المختلفة في دول مجلس التعاون الخليجي.
4. تشجيع اتجاهات التطوير في الأبحاث النفسية والتربوية لغايات المستقبل في دول مجلس التعاون الخليجي.

محاور الندوة:

وقد شارك في هذه الندوة أكثر من خمسة عشر مشاركاً من أساتذة جامعات دول مجلس التعاون الخليج، حيث تمت مناقشة سبعة محاور في هذه الندوة، وهي:

1. دور علم النفس في خدمة المجتمع.
2. علم النفس في العملية التربوية.

3. علم النفس والتطوير المهني.

4. علم النفس والمشكلات النفسية والاجتماعية.

5. علم النفس وقضايا الأسرة الخليجية.

6. علم النفس وذوي الحاجات الخاصة (الموهوبون والمعوقون).

7. علم النفس والإعلام الخليجي.

بالإضافة إلى هذا ألقيت ثلاث محاضرات عامة وهي (علم النفس في دول الخليج: القضايا والتطلعات، العلوم النفسية والتنمية البشرية، نحو توظيف أفضل لعلم النفس في تنمية مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي).

فعاليات الندوة:

في اليوم الأول افتتحت الندوة بآيات عطرة من الذكر الحكيم، ثم ألقى الدكتور فاروق أبو عوف، أستاذ مشارك بقسم علم النفس كلمة تحدث فيها عن أهمية علم النفس ودوره الفعال في المجتمعات الخليجية، وقد اختتم كلمته بتقديم الشكر لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الدينية وتقديم الشكر لهذا التجمع العلمي.

ثم ألقى الدكتور علي أحمد مدكور عميد كلية التربية كلمته التي أشاد في بدايتها عن دور علم النفس القوي في مختلف المجالات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.. وأضاف قائلا: نريد علماً للنفس قادراً على معالجة قضايانا العربية، وعلماً للنفس له تصور كليٌّ للألوهية والكون والإنسان والحياة.. وقال في نهاية حديثه: إن الصحة النفسية للفرد والمجتمع إنما لتحقق من خلال منهج للتربية يبدأ بسلام الإنسان مع الله وسلامه مع نفسه ومع المحيطين به.

كما ألقى معالي الشيخ عبد الله بن محمد السالمي وزير الأوقاف والشؤون الدينية راعي الحفل، كلمة قال فيها: أن سبر أغوار النفس الإنسانية، وتحليل علاقتها، وقراءة انفعالاتها وكيفية استنباط نظام تربوي أقوم، والتعرف على قواعد الاجتماع وأسس الأخلاق وغايات الفنون فيها كلها أمور لمّا تصل فيه الحضارة المعاصرة إلى كنه الحقيقة وعين الصواب..).

وفي نهاية كلمته قال: أسأل الله الكريم أن يكلل ندوتكم بالتوفيق، وأن تخرجوا بتوصيات نافعة ونتائج مثمرة إنه تعالى سميع مجيب.

ومن ثم تمت مناقشة محاور الندوة السبعة على مدى ثلاثة أيام، وحول الندوة التقينا بالدكتور حسن الموسوي من علم النفس بكلية التربية الأساسية في الكويت، وسألناه عن رأيه في الندوة فأجاب: لا شك أن هذه الندوة من الندوات الهامة التي جمعت أبناء الخليج، وجعلتهم يتناقشون حول قضايا تتعلق بهم مثل القضايا النفسية والاجتماعية، فهي تهم كل فرد

خليجي، وآثرت الثقافة العلمية عند الحضور، وزادت من اكتشاف المعلومات، وتبادلت الخبرات بين المختصين في المجال النفسي، فمثل هذه التجمعات تنشط العقول وتساعد على تدعيم الفرد للقيام بمزيد من البحوث والدراسات والتجارب الميدانية العلمية، وأضاف الدكتور أن القائمين على إعداد الندوة اختاروا مجموعة من البحوث والدراسات الجيدة، واختاروا المختصين الفاعلين في هذا المجال.

وعن الصعوبات التي تواجه القائم بالدراسة قال الدكتور حسن الموسوي: إن المجتمعات الخليجية بها نوع من التخوف والحساسية في طرح القضايا بالشكل الواقعي، ولأن ذلك قد يسبب مشاكل اجتماعية، ويؤثر على العلاقات والعادات والقيم، فنحن لابد أن نظهر هذا الواقع كما هو ونواجهه، حتى لو كان يسبب لنا المشاكل، وليس علينا الهروب منه والابتعاد عنه.

وتحدث عن المرشد التربوي قائلاً: للأسف الشديد الكثير يعتبرون المرشد التربوي بلا قيمة وأهمية، لذلك طالبت في بحثي بأن يكون هناك تقديم معنوي، وتقدير مادي، وإعطاءه أهمية لما له من دور في تدعيم الحركة التربوية.

وكان لنا لقاء آخر مع الدكتور صالح إبراهيم الصنيع، أستاذ علم النفس في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وقد بدأ حديثه عن الندوة قائلاً: الحقيقة إن هذه الندوة هي الثانية لأقسام علم النفس في جامعات دول مجلس التعاون الخليجي، وقد شاركت في الندوة السابقة بدراسة، كما أشارك هذا العام بدراسة أخرى عن الخطط الدراسية في أقسام علم النفس في دول مجلس التعاون الخليجي، وقد أجريت هذه الدراسة التي تشتمل على ثلاثة محاور، ولقد خرجنا بعدة توصيات في هذه الدراسة ندعو فيها القائمين على أقسام علم النفس في جامعات دول مجلس التعاون مراعاة عدد من المعايير، منها خصائص المجتمع الخليجي والتطورات الحديثة التي تحدث في عصرنا الحالي، وعن مستقبل علم النفس قال: الآن بدأ الكثير يشعر بأهمية هذا العلم ودوره في العديد من المجالات، فنحن في حاجة لتأهيل أبنائنا عن طريق أقسام علم النفس التي تحثهم على المشاركة الإيجابية في المجتمع.

وأشار إلى انه ينبغي علينا أن نسلك خطانا بتتبع قضيتين أساسيتين هما قضية المنهج العلمي المتابع للتطورات وقضية التصور الإسلامي المتوافق مع خصائص المجتمع الخليجي الذي ينظر إليه على أنه النموذج الرائد للتطور والنماء.

وفي ختام المؤتمر تم الإعلان عن عدد من التوصيات تمثلت في:

1. الإعلان عن إنشاء الجمعية الخليجية لعلم النفس.
2. التأكيد على ضرورة تأصيل المفاهيم والدراسات النفسية بما يتوافق مع الخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الخليجية.

3. إعداد الاختصاصيين والمهنيين في مجالات علم النفس المختلفة، وذلك من خلال برامج البكالوريوس والدورات المهنية والدراسات العليا في الجامعات التي لا توجد فيها أقسام متخصصة في علم النفس.

4. توجيه وسائل الإعلام إلى تخصيص عدد من البرامج الموجهة إلى التوعية النفسية التي تساعد على وقاية الأطفال والشباب وتثقيفهم وتوعيتهم.

5. تطوير أقسام علم النفس لمواكبة التغيرات المعاصرة في المجالين العلمي والنظري والاهتمام بأعداد وتقنين الاختبارات والمقاييس النفسية.

6. توجيه اهتمام خاص للأدوات والأساليب التشخيصية، وطرق وبرامج الرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة من الأطفال والمعاقين والموهوبين والمتفوقين والمبدعين.

7. توفير الدعم المادي والمعنوي للبحوث والمشاريع ذات التوجه التطبيقي في المجالات المختلفة لعلم النفس.

8. الاهتمام بالدراسات والبحوث والخدمات الموجه للطفل والمرأة والظواهر الطارئة على مجتمع الخليج وتأثير ذلك على تنشئة الأطفال وتربيتهم.

9. التأكيد على تخصيص موقع فعال للاختصاصي والمرشد النفسي في المدرسة والمواقع التعليمية المختلفة ليسهم في رعاية التلاميذ.

10. الاهتمام بالطفولة المبكرة، وإعداد المعلمات والاختصاصيات لرياض الأطفال ومرحلة ما قبل المدرسة.

11. تخصيص موقع على شبكة الإنترنت لأخبار وإسهامات علم النفس في دول مجلس التعاون الخليجي على أن تتولى الجمعية الخليجية لعلم النفس تحقيق هذه المهمة.

12. العمل على إنشاء مجلة علمية متخصصة في علم النفس في دول الخليج العربية.

13. توجيه الاهتمام إلى دراسة احتياجات المسنين ومشكلاتهم مع العمل على استثمار إمكاناتهم التي تؤكد عليها التوجهات المعاصرة في اعتبار مرحلة كبر السن هي مرحلة التكامل والحكمة.

14. حث هيئات المجتمع الأهلية والقطاع الخاص بدعم الأبحاث والدراسات النفسية ذات التوجه التطبيقي على مشاكل المجتمع وقضاياه.

15. إيلاء اهتمام خاص بإنشاء وحدات أو مراكز ذات طابع خاص للإرشاد النفسي وتنمية الإمكانات البشرية مع مراعاة أن تكون هذه المراكز مؤسسة على أحدث التقنيات الفعالة في هذه الميادين.

وفي الختام رفع المشاركون أسمى آيات الشكر والتقدير لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم لرعايته الدائمة للعلم والمؤسسات العلمية والتعليمية.

3- الجمعية الفرنسية المغاربية للطب النفسي

الجمعية التونسية للأطباء النفسانيين الاستشفائيين و الجامعيين

تنظم بالمشاركة مع

الجمعية التونسية للطب النفسي

الجمعية التونسية للأطباء النفسانيين بالممارسة الحرة

المؤتمر الفرنسي المغاربي الثالث و العشرون للطب النفسي

المنستير (تونس) 7-8 تشرين الأول/أكتوبر 2004

http://www.conframag.com

الفصام وذهانات الأطفال: التوجهات الحالية والمظاهر الثقافية

مواضيع المحاور العلمية

1- وبائيات الفصام وذهانات الأطفال.

2- الذهانات الطفلية: الإشكاليات التصنيفية.

3- المستجدات الحديثة للأمراضية السببية للفصام.

4- الاستعداد للفصام والذهانات الطفلية.

5- التقصي المعرفي – العصبي.

6- علم الوراثة للذهانات الطفلية والفصام.

7- الثقافة والمظاهر السريرية للذهانات.

8- الفصام واضطرابات السلوك.

9- الفصام والاكتئاب.

10- المجتمع، العائلة، الوصمة والفصام.

11- الفصام: مظهر التحول من الثقافة الجمعية إلى الثقافة العربية.

12- الفصام ونوعية الحياة.

13- المآل على مدى طويل ومفهوم الشفاء لمرض الفصام.

14- من المعقلات إلى مضادات الذهان.

15- المظاهر الثقافية لرعاية الذهانيين.

16- الاستطباب بمضادات الذهان اللانموذجي.

17- من علاج أول فترة ذهانية إلى وقاية الانتكاسات.

18- خصوصيات الرعاية الخارجية للمرضى الفصاميين.

19- مداومة العلاج عند الفصام.

20- الوقاية من الفصام.

المؤتمر الفرنسي الجزائري الثاني للطب النفسي

مستجدات الاضطرابات الشناقطبية

http://www.arabpsynet.com/Congress/CongIIAFAP-Alger.pdf

تنظيم:

الجمعية الفرنسية الجزائرية للطب النفسي.

بمشاركة:

الجمعية الجزائرية للطب النفسي.

الجمعية الجزائرية للأطباء النفسانيين بالممارسة الحرة.

الجزائر -12-13 أيار/ماي 2005.

ملتقى تكويني في العلاج النفسي

http://www.arabpsynet.com/Congress/TrainingPsy-CaTn.pdf

تنظيم:

جمعية الأطباء النفسانيين بكيباك - كندا.

بمشاركة:

الجمعية التونسية للطب النفسي

الجمعية التونسية للأطباء النفسانيين الخواص.

تونس - الحمامات : 10/02 تشرين الأول/أكتوبر 2004

الملتقى الفرنكفوني الرابع للأطباء النفسانيين

الطب النفسي - الشباب والمجتمع

http://www.arabpsynet.com/Congress/CongIVFrancopsy-Alger.pdf

تنظيم:

اتحاد الأطباء النفسانيين الخواص الناطقين بالفرنسية

الجمعية الجزائرية للأطباء النفسانيين بالممارسة الحرة

الجزائر 15- 18 /03/ 2005 - نزل شيراتون (نادي الصنوبر - الجزائر).

مكتبة العدد

عنوان الكتاب: "الكتلة الحاسمة: كيف يقود الشيء إلى غيره"

المؤلف: فيليب بول.

الناشر: دار "هاينمان للنشر".

تاريخ النشر: آذار/مارس 2004

في العام 1784 كتب الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم قائلاً: إن أفضل ميزة لعلوم الرياضيات تتفوق بها على العلوم الأخلاقية هي أن علوم الرياضيات تشتمل على أفكار واضحة، قاطعة ومحددة دائماً. ومضى هيوم إلى القول إن الدائرة مثلاً كمفهوم، لا يمكن أن تعني شيئاً آخر، عدا شكل الدائرة الذي ندركه هندسياً. أما بالنسبة للعلوم الأخلاقية- التي كانت تشمل في ما تشمل في القرن الثامن عشر، دراسة الذهن البشري والمجتمع والإجابة على الأسئلة ذات الصلة بتحديد الخطأ والصواب- فليس ثمة مجال لذلك الوضوح والتحديد الدقيق الذي تتسم به العلوم الرياضية. واستطرد هيوم ليقول كذلك إن الالتباس، أو الغموض، قد تسرب رويداً رويداً إلى نصوص العلوم الأخلاقية، وإلى الطريقة التي نفكر بها في تلك العلوم، ونصوغ بها منطقنا فيها.

كان ذلك مقطعاً قصيراً من كتاب ديفيد هيوم الذي يحمل عنوان "**بحث في الفهم الإنساني**". وبذلك كان هيوم قد أنضم إلى تلك المجموعة الكبيرة من المفكرين والفلاسفة الغربيين، الذين كرسوا قسطاً كبيراً من فكرهم ومواهبهم وقدراتهم الذهنية، لمحاولة الإمساك، ولو لحظة واحدة، بميزة التحديد والوضوح التي تتميز بها العلوم التطبيقية، واستعارتها ما أمكنت الاستعارة، إلى ميدان العلوم النظرية والدراسات الإنسانية. والواقع أن هذا الشوق العارم لإضفاء طابع التحديد والوضوح على العلوم الإنسانية، والتطلع إلى صبغ تلك العلوم بصبغة منطقية صارمة، بحيث تسري القوانين العامة للرياضيات على العلوم الإنسانية والسلوك البشري، على نحو أو آخر، هما اللذان أدخلا البشرية في سلسلة لا أول لها ولا آخر من العلوم الأساسية والفرعية الممتدة من علم دراسة القدرات الذهنية، وصولاً إلى علم الاقتصاد وغيره. ويمتد هذا الشوق حتى قرننا الحالي، إلى هذا الكتاب الذي نتناوله بهذا العرض.

الفرضية الأساسية التي يقيم عليها فيليب بول حجته في كتابه هذا، هي أن علوم الرياضيات والفيزياء والإحصاء، قد بلغت حداً من التطور في عصرنا الحالي، يمكن فيه استعارة وتطبيق مفاهيمها العامة حول سلوك النظائر وغيرها من الظواهر الفيزيائية

والرياضية على السلوك البشري، سواء كان ذلك السلوك متعلقاً بنشاطنا التنافسي المالي في أسواق البورصة، أم كان ذا صلة بموقف معين، نلهث فيه بحثاً عن المخارج والأبواب المنجية من حريق ما، اشتعل أثناء وجودنا داخل مكان معين، وليكن ملعباً لكرة القدم مثلاً. ليس ذلك فحسب، بل إن كتلة المجتمع البشري قد أصبحت الآن من الميكانيكية، إلى درجة جعلتها أقرب إلى أن تكون مرادفاً اجتماعياً للذرات المكونة للمواد والعناصر الفيزيائية. وعلى حد قول الكاتب، فإن الأفراد- أو لنقل ذرات هذا المجتمع- في استعارة للغة الفيزيائية، يتفاعلون مع بعضهم بعضاً من خلال القوانين ذاتها، التي تحكم علاقات الذرات الفيريانية، أي عبر قانون الجاذبية والتنافر.

لا يدفع هذا الاعتقاد الكاتب إلى القول إن المجتمع البشري قد فقد بعض خواصه الأساسية، مثل الشعور بالذاتية والإرادة وغيرها. فلا تزال مثل هذه الخواص موجودة، إلا أنها غاصت في مكان أشبه بتلك الشخصيات التي صورها الكاتب الإنجليزي الشهير تشارلز ديكنز، في روايته "الأزمنة القاسية" أي أنه جرى امتصاص الفرد وتذويب شخصيته، داخل الماكينة الحاسبة الصناعية. وفي ما لو كانت التجارب التي يعرض لها المؤلف تتعلق بمجموعة من المشاة الذين يعبرون شارعاً ما، عبر مباني جامعة شتوتجارت الألمانية على سبيل المثال، أو بالناخبين البرازيليين، وهم ينهمكون في انتخاب حكامهم الإقليميين، أو غيرها من تجارب، فإنه يعمد إلى عرض أنماط وتقسيمات للسلوك الاجتماعي، يفترض أنها تمثل تلك العلاقات بين المواد والأجسام الفيزيائية، التي يدرسها الفيزيائيون. من ذلك مثلاً يتحدث المؤلف عن علاقات الجاذبية والتنافر كما سبق القول آنفاً، وكذلك يناقش البعد الاجتماعي لمفهوم "المرحلة المفاجئة للانتقالات" وهي المرحلة التي تحدث، عندما يذوب الماء أو يتجمد. أما تلك التجارب الاجتماعية والسياسية التي يعرض لها، فهي في رأيه تشبه إلى حد كبير أنماطاً مكافئة لها من التجارب التي تجري في مجال علم الفيزياء والعلوم الطبيعية.

في ما يبدو فإن بول محق في ما قاله. ذلك أنه لا ريب ألا يكون الناس أثناء تواجدهم خلال الاختناقات المرورية، وما شابهها من مواقف، في أصفى حالاتهم، وأكثرها تعبيراً عن تنوع شخصياتهم. ففي مثل هذه الحالات، غالباً ما يتشكل المزاج والسلوك. بالحالة التي هم عليها، وبالسيارات التي يجلسون في داخلها، وبظروف البطء والملل الذي تخلقه الاختناقات المرورية. طبيعي، إذن، ألا يكون مثل هؤلاء الأفراد على مقربة بأية حال من الأحوال، مما كان قد تطرق إليه الكاتب الإنجليزي ديكنز في روايته "الأزمنة القاسية" من خير وشر، وحب وكراهية، وغيرها من مشاعر إنسانية في مثل هذه اللحظات، التي يتحول فيها الفرد إلى مجرد رقم من كتلة الجمع. ولما كان ذلك هو الحال، فإن فرداً كهذا يسهل التكهن بسلوكه، وقراءة حالته المزاجية والنفسية، ضمن القراءة العامة لحالة الأفراد الذين يشاركونه الموقف ذاته. الجيد أن المؤلف يرى خلافاً لذلك في الحالات الأخرى الأكثر تعقيداً، التي تطغى فيها شخصية الفرد وسلوكه الفردي على سلوك الجماعة. وبمنهج الفيزياء والرياضيات أيضاً،

حاول المؤلف استخلاص تعميمات نظرية على السلوك الجماعي، الذي لازم نشوب الحرب العالمية الثانية، في قراءة سلوكية تاريخية للأحداث، علاوة على قراءة أخرى لبعض الظواهر الاقتصادية الاستثمارية الكبيرة، التي شهدها القرن الماضي.

لكن، وخوفاً منه من أن يتهم بالتعميم المطلق، قال محترزاً في الباب الأخير من كتابه: على أنه من الخطأ الفادح في بعض الأحيان، أن نسعى للعلوم التطبيقية، بحثاً عن موجّه أخلاقي، وأملاً في العثور على مناهج دراستنا للعلوم الأخرى. ولما كان الكاتب قد وصل لهذا الاستنتاج في خاتمة كتابه، فلم كل ذلك الإطلاق الذي أضفاه على العلوم التطبيقية، التي حاول سحبها على دراسة كافة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى؟ ولعله من الأنسب أن يثار السؤال نفسه حول الملابسات التي صعدت من مفهوم "عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي " من جهة، وقانون "فائض القيمة" لدى ماركس من جهة أخرى، إلى مفهومين قيميين متصارعين، بعد أن تم إعلاؤهما إلى مستوى آخر، لا علاقة مباشرة له، بكون المفهومين اقتصاديين في الأساس.

العنوان: الأساليب والوسائل التقنية التي يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها.

المؤلف: د. محمد فتحي عيد.

الناشر: أكاديمية نايف العربية للدراسات الأمنية.

لقد استفادت البشرية من التطور التقني الذي شهدته مختلف المجتمعات الإنسانية، ولا سيما التطورات التي حصلت في العقود الأخيرة، فانعكس ذلك على الحياة الإنسان من جوانب متعددة، كالصحة والمواصلات والاتصالات والمعلومات، وغير ذلك، مما زاد في راحة الإنسان ورفاهيته، كما زادت مظاهر حياة الإنسان تعقيداً واعتياداً على هذه التقنيات.

ومن جهة أخرى فقد استفادت الأجهزة الأمنية من جانبها من مظاهر التقدم التقني كثيراً، ووظيفتها في خدمة أمن الفرد والمجتمع معاً، ولكن مظاهر التقدم التقني ليست ببعيدة عن متناول المجرمين ولا سيما عصابات الإرهاب، مما جعل عمليات مكافحة هذه الجرائم تزداد صعوبة وتعقيداً، حيث يستخدم هؤلاء المجرمون، مختلف أنواع التقنيات، كما ويستخدمون كل جديد في هذا الميدان الذي تتطور الوسائل التقنية فيه بسرعة كبيرة جداً، شأنها شأن مختلف المجالات التقنية الأخرى في عصرنا الحالي.

بهذه الكلمات قدم رئيس أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، أ.د. عبد العزيز بن صقر الغامدي ، للكتاب الصادر عن الأكاديمية تحت عنوان: " الأساليب والوسائل التقنية التي يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها ". وهو من تأليف اللواء د. محمد فتحي عيد، ويقع في مئة وخمس وثمانين صفحة.

وأضاف رئيس الأكاديمية بأن مخاطر الإرهاب قد زادت، وأصبحت مكافحة الإرهاب تتطلب تعاوناً أوثق بين مختلف الأجهزة المعنية، بل وبين الدول على مختلف أنظمتها السياسية والاجتماعية.

وأشار إلى أن مجلس وزراء الداخلية العرب قد اعتمد استراتيجية عربية شاملة لمكافحة الإرهاب، وموضحاً أن هذه الدراسة بمثابة إسهام من أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في تنفيذ وتحقيق أهداف هذه الاستراتيجية التي أقرت في عام 1998.

ويعرض الكتاب للتقنيات والأجهزة الحديثة المتوافرة لمكافحة الإرهاب وهي:

1- جهاز كشف الرسائل المفخخة، ويطلق هذا الجهاز إنذاراً إذا كانت الرسالة تحتوي على متفجرات.

2- الكشافات البخارية، ومنها جهاز الكروماتوغراف الغازي. ويتعامل هذا الجهاز مع أبخرة المفرقعات. ويميزها عن غيرها من الأبخرة. وكذا جهاز الكاشف البخاري. والذي يسمى بالشمام الإلكتروني الذي يعمل على تحديد الكميات المنبعثة من ذرات أو جزئيات المادة المتفجرة.

3- جهاز كشف المتفجرات داخل الطرود، حيث تكشف الأشعة السينية x Ray صورة محتوى الطرد على شاشه تلفزيون.

4- جهاز كشف باستخدام النيترونات عالية الطاقة، وهو جهاز يكشف النيترونات عالية الطاقة المنبثقة من تفاعل بعض المواد مع مادة النيتروجين التي تدخل في التركيب الكيميائي لمعظم المتفجرات، كما توجد أجهزة تستخدم النظائر المشعة للكشف عن المتفجرات. وهذه الأجهزة عالية الثمن، منها جهاز تحليل النيترون الحراري المركب في المطارات الأميركية بتكلفة قدرها مليون دولار لكل جهاز.

5- أجهزة كشف المعادن، وهي أجهزة تكشف وجود أي محتويات معدنية يحملها الشخص، مثل أجهزة تفتيش الشخص، وبوابة الكشف على المعادن وتميز الأجهزة الأولى بصغر حجمها، وسهولة استخدامها، وتتميز الثانية بسهولة الاستجابة والاستخدام والصيانة، وعدم تأثيرها مغناطيسياً على الأشياء التي يحملها الشخص.

6- أجهزة التردد النووي المغناطيسي، وتتميز هذه الأجهزة بالحسابية العالية لبعض أنواع المتفجرات، مثل الديناميت المحتوي على النتروجليسين والمتفجرات المحتوية على نترات الأمونيوم أو مادة ت، إن ، ت.

7- أجهزة الكشف بواسطة اكتشاف الصوت، وهي عبارة عن مكبرات للصوت تستخدم للكشف عن العبوات الناسفة الموقوتة، مثل الجهاز السمعي الإلكتروني.

8- سيارات التأمين الإلكترونية، وهي تتميز بقدرات فائقة على المناورة، الأمر الذي يتيح لها كشف وفحص العبوات الناسفة الخطيرة ونقلها إلى مناطق بعيدة وتفجيرها بأمان، خاصة وهي تملك إمكانية التحكم في هذه العمليات من بعد، كما تستخدم الكلاب المدربة في كشف المتفجرات عن طريق الرائحة المنبعثة من جزئيات المادة المتطايرة، والتي تنتشر في الجو المحيط بالعبوة، ولا تنجح الكلاب في الكشف إذا كانت الرائحة ضئيلة أو معدومة.

9- أجهزة تستخدم أشعة الليزر التي تطلق بموجات مختلفة، وتستطيع هذه الأجهزة الكشف عن مادة Semtex المتفجرة، وتستخدم للكشف عن الأسلحة الكيماوية المستخدمة في العمليات الإرهابية، وهي أجهزة تتبع تقنيات لأربعة مناهج هي: المنهج الإنزيمي - الخمائري، والمنهج الكيميائي - الكهربائي، ومنهج التأمين الجاف ومنهج استخدام أشعة الليزر.

ومن الأجهزة المستخدمة جهاز الكشف الأتوماتيكي الذي يقوم بأخذ عينات من الهواء بصورة أتوماتيكية ومستمرة وتحليلها وإصدار صفارة إنذار في حالة وجود مادة سامة.

وأجهزة الكشف المحمولة التي تعتمد على درجة الكشف M8 وتستخدم في الكشف عن المواد الكيميائية السامة في السوائل، وجهاز الكشف كام البريطاني المحمول بالبد الذي يستطيع كشف غازات الأعصاب والتقرح الجلدي، كما يوجد جهاز للكشف عن غازات الأعصاب والسيانين والخردل في مجاري المياه وخزاناتها، وهي عبارة عن حقائب محمولة للكشف الميداني الميداني تستخدم أوراق للكشف تسمى M 272 كما توجد لدى أجهزة مكافحة الإرهاب للمسح الإشعاعي.

في المقابل يتطرق الكتاب إلى مناقشة توظيفات الإرهاب للتقنيات. إذ إن استخدام الإرهابيين للتقنيات الحديثة يسهل عليهم تنفيذ جرائمهم، ويوفر فرص ارتكاب الجرائم عن بعد. ويزيد من عدد ضحايا الجرائم قتلى ومصابين وذوي عاهات. كما أنه يوسع من دائرة الدمار التي تصيب المرافق والممتلكات، ويصعب مهمة أجهزة مكافحة الإرهاب في العثور على آثار تقود إلى الجناة، ويزيد من أعباء السلطات في دفع الضرر وتخفيف الويلات وعلاج آثار الصدمات النفسية التي تتخلف عن هذه الأعمال.

وهذا لم يكن غائباً عن ذهن واضعي الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب، أو فكر أصحاب السمو والمعالي وزراء الداخلية العرب، الذين اعتمدوا الاستراتيجية في دور الانعقاد الرابع عشر لمجلس وزراء الداخلية العرب.

وأوضح المؤلف أن التقنية هي الأداة المستحدثة أو الأسلوب المبتكر الذي أفرزه عقل بشري طوره العالم والخبرة والمعرفة والتقنية. كما قال جيتس بأنها تحقق نتائج أفضل من النتائج

التي تحققها الأداة أو الأسلوب المستخدم قبل اكتشافها. حيث توفر الوقت والجهد وتقلل التكلفة.

ويرى المؤلف أن أول استخدام أداة مستحدثة تقنية في مجال الإرهاب هو استخدام منظمة إرهابية إيرلندية لقنبلة في عملية هروب من سجن كامير كنويل الكائن بالعاصمة البريطانية لندن، وذلك في العقد الثامن من القرن التاسع عشر. ويشير البعض إلى أشكال أخرى من المتفجرات سبقت استخدام القنبلة، كمثل استخدام البراميل المتفجرة التي تجرها الخيول إبان أحداث باريس في الفترة من عام 1792 إلى عام 1794. واستخدام الديناميت أثناء الثورة الفرنسية. في حين تردنا المراجع الفرنسية إلى محاولة اغتيال نابليون عبر عربة مفخخة تجرها الأحصنة. وهي حادثة لم يوردها الكتاب.

وحديثاً استفاد الإرهابيون من توافر تقنيات الاتصال، بدءاً من محطات البث التلفزيوني ذات الدائرة المحدودة ومحطات البث الإذاعي والفيديو والكاسيت، وإضافة إلى ذلك وجود الفاكس والهواتف المحمولة المتصلة بالأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت العملاقة والبريد الإلكتروني. مما جعل زعيم ميليشيا متشيغان الإرهابية يعلن أنه لا يحتاج إلا لخمسة دقائق لكي يتصل بمئة من أنصاره موزعين في كل أنحاء الولايات المتحدة الأميركية. وبالمناسبة فإن هذه الميليشيات هي نوع من النازية الجديدة، وهي التي نفذت انفجار أوكلاهوما العام 1995. وهي تعتبر أحد أهم الأخطار التي تهدد الداخل الأميركي.

وخلص الباحث إلى أن هنالك سباقاً على استخدام التقنية الحديثة بين الإرهاب وبين الجهات التي تكافحه. مما أتاح للإرهابيين مواجهة المعدات والأدوات التي تستخدمها أجهزة الأمن لكشفهم وكشف ما يخفونه من أسلحة، فلجأوا إلى المسدسات المصنوعة من البلاستيك، كما لجأوا إلى استخدام زوارق مصنوعة من مواد لا تكشفها أجهزة الرادار. واستطاع الإرهابيون أن يستخدموا أحدث التقنيات في تزوير وثائق السفر رغم المحاولات الجادة للحكومات لتصميم وثيقة سفر غير قابلة للتزوير. كما استطاعوا تزوير الدولارات وبطاقات الائتمان للحصول على موارد إضافية للتمويل.

وتناول الباحث دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية والشعبية في مكافحة الإرهاب، فأوضح أن الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب قد وضعت تصوراً مثل التنسيق بين الأجهزة الاجتماعية والأجهزة الأمنية، وطالبت الدول الأعضاء قبل ذلك بضرورة تحديد واجبات هذه الأجهزة تحديداً دقيقاً.

كما لم تغفل الاستراتيجية دور المواطنين في مواجهة الإرهاب، وحثت على إقامة تعاون فعال بينهم وبين الأجهزة المعنية بمكافحة الإرهاب.

كما أشار إلى أن الاستراتيجية انطلقت من فرضيات يؤمن بها واضعوها، ويقرها أصحاب السمو والمعالي والذين اعتمدوها، ولا يجادل فيها أي شخص ملتزم محب لوطنه ساع لخيره وخير بني جنسه، وهذه المنطلقات هي:

1-المبادئ الدينية والأخلاقية للأمة العربية، لا سيما ما يدعو إليه الإسلام من تسامح واعتدال ينبذ كل أشكال الجريمة وفي مقدمتها الإرهاب.

2-ارتباط الحفاظ على الأمن بالشرعية وسيادة القانون ومكافحة الجريمة.

3-تحقيق مكافحة فعالة للإرهاب يتطلب تعزيز التعاون العربي وتدعيم التعاون العربي الدولي.

وهذه الفرضيات يجب أن تكون قواعد إرشادية للمؤسسات في تنفيذ الأدوار الملقاة على عاتقها. وهي قواعد تقتضي تنظيم المهام وتحديد المسؤوليات وجهات القرار تجنباً للفوضى التي قد تنجم عن عدم تحديد هذه الأدوار. ولاحظ الباحث أن المؤسسات الاجتماعية المعنية بمكافحة الإرهاب كثير منها: الأسر والمدرسة والمؤسسات الإعلامية والمؤسسات.

عنوان الكتاب: النفس المقهورة – سيكولوجية السياسة العربية.

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: المركز العربي للدراسات المستقبلية.

كان للسينما الفضل في تعريف الجمهور إلى الجوانب السوداء لاستخدام العلوم النفسية في الميدان السياسي. وهو استخدام محفوف بالغموض و السرية. فقد ظهرت أفلام عديدة تصدت للموضوع وعرفت نجاحاً جماهيرياً واسعاً أدى إلى طرح مسألة أخلاقيات استخدام المعارف النفسية في المجال السياسي. من أنجح وأهم هذه الأفلام نذكر:

البرتقالة المعدنية: حيث لا يمكن لمشاهد هذا الفيلم أن ينسى تلك النظرة اليائسة. وذلك التعبير عن الرعب الذي يظهره بطل الفيلم أمام محاولة سلبه لإنسانيته بتحويله إلى مجرد مجيب آلي على الإثارات التي تعرض أمامه. وصولاً إلى استغلاله وتحويله إلى خاضع للقواعد التي يفرضها عليه عالم النفس (المعالج بالطريقة السلوكية) والتي تمليها جهات سياسية وليس علمية. وفي النهاية ينجح علم النفس السلوكي في شفاء هذا المريض ؟.

شارلي: في هذا الفيلم إدانة للرغبة في إنتاج الإنسان العبقري المتفوق. حيث يمكن للمجموعة المنتجة لهذا الإنسان أن تتحكم في العالم. وبطل الفيلم شارلي يخضع لعملية غير مؤكدة النتائج ترفده بذكاء اصطناعي لبضعة شهور. مشاهدو الفيلم يذكرون تلك النظرة

الفارغة الخاوية من التعابير، والمليئة بالحمق، التي رافقت تمتع البطل بجرعات ذكاء اصطناعية ؟.

طيران فوق عش الكوكو: حيث الظهور الشعبي للبطل بعد تعرضه لعملية جراحية تهدف إلى شفائه !؟.

إن هذه الأفلام، وكثيرة غيرها، أعادت طرح حقوق الإنسان، فتخطت مسألة حريته إلى مسألة كرامته. بل هي تخطت كرامة الفرد إلى طرح قضية كرامة النوع البشري. فماذا يبقى من هذه الكرامة إذا ما استبيح الدماغ الإنساني عبر عمليات جراحية، والعقل عبر برمجة تفكيره وتقنين تصرفاته، والمجموعات البشرية عبر استغلال نقاط ضعفها وحساسياتها كي يتم توجيهها بالاتجاه المناسب لأحد الأطراف. سواء كان دولة أو فكراً أو فرداً أو مجموعة بشرية متمايزة.

لقد جرى التركيز الإعلامي المكثف خلال عقود على إساءة استخدام العلوم النفسية (الطب النفسي خاصة) في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية سابقاً. حيث كان المعارضون السياسيون يحولون إلى المصحات العقلية، وهنالك توضع لهم التشخيصات المناسبة لبقائهم في هذه المصحات. حتى أدى هذا التركيز إلى رفض عضوية الاتحاد السوفياتي في الجمعية العالمية للطب النفسي (قبلت عودته إليها في مؤتمر أثينا العام 1989).

في المقابل فقد تكتمت الولايات المتحدة وعدة دول غربية أخرى على إساءة استخدامها لهذه العلوم، بدءاً من استخدام مخدر.L.S.D في التحقيقات (مما أدى إلى انتشاره في ما بعد كمخدر) ووصولاً إلى الجراحة الدماغية، مروراً باستخدام السيكولوجيا الجماعية وتسخيرها في خلق الإيحاءات التي تدفع الجمهور بالاتجاه المناسب للسياسة الأميركية. وهذا ما دفع المفكر الأميركي نعوم تشومسكي لتخصيص فصل خاص في كتابه "قراصنة وأباطرة" للمقارنة بين التجاوزات الأميركية (التي جعلتها القوة والسيكولوجيا مباحة) وبين الإدانة الجماهيرية (الرأي العام الذي تتحكم فيه الولايات المتحدة) للتجاوزات السوفياتية الأقل حجماً ووقاحة كما يقول تشومسكي.

لكن نقطة ضعف السيكولوجيا السياسية هي أنها تعطي مفعولاً قابلاً للارتداد. فهذه الإيحاءات (الموجهة للجمهور الواسع) هي كناية عن تنويم مغناطيسي جماعي لكنه مؤقت. فلو نحن عدنا إلى فترة فضيحة نيكسون المسماة بـ: "ووترغيت" لرأينا أنها كانت مناسبة أيقظت الجمهور الأميركي من غفوته المغناطيسية، وجعلته يراجع إيحاءات السلطة فظهرت عندها انتقادات مكثفة. يقول البعض إنها كانت موجودة، لكنها لم تكن تجد مستمعين. فظهرت في تلك الفترة مجموعة من الكتب التي تفضح الاستخدام السياسي السيئ للسيكولوجيا، ولغيرها من العلوم الإنسانية، وتسخيرها لخدمة مصالح النخبة الأميركية. ثم جاءت فضائح كلينتون، بدءاً من الفضيحة المالية "وايت ووتر" وصولاً إلى الفضائح الأخلاقية. والتي بدورها

أيقظت حاسة النقد لدى المواطن الأميركي ولكن بفوارق ملحوظة. إذ إن هفوات نيكسون شكلت تحديا للمفاهيم الليبرالية الأميركية، في حين كانت هفوات كلينتون أقرب إلى الشخصية منها إلى العمومية والمبدئية. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في الحالتين هو: ما هي السلطة الخفية التي تتصدى لأعلى مراكز السلطة الأميركية وتسيطر عليها؟ وما هي دوافع هذا التصدي وخلفياته؟.

على أية حال فإن أصعب أزمات علم السياسة هي تطور فروعه على حسابه كأصل. إذ إن علم السياسة التقليدي خسر مكانته تدريجيا بسبب السرية المحاطة به، والتي حاولت تكريسه كموهبة غير قابلة للتدريس. في حين تمكنت العديد من الفروع المنتمية أصلا إلى علم السياسة من تكريس أكاديميتها وقابليتها للتدريس وللقياس العلمي. وهكذا تطورت علوم من نوع علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والاقتصاد والإحصاء، وحتى المستقبليات، على حساب علم السياسة. الأمر الذي أدى إلى تراجع المفهوم الشمولي لعلم السياسة وحوله إلى مجموعة غير متماسكة تدعى بالعلوم السياسية. ومن هنا القول إن التعمق في دراسة أي موضوع سياسي يقودنا إلى استعانة بعلوم أخرى حتى تبدو السياسة، وكأنها منساقة قسرا لهذه العلوم.

هذا الانسياق يبرر تنوع وتفرع التطبيقات التي يوردها الدكتور محمد أحمد النابلسي في كتابه "**النفس المقهورة - سيكولوجية السياسة العربية**". كما يشرح العلاقة التبادلية المعقدة بين السياسة وعلم النفس، ويفسر وجود علوم وسيطة بينهما.

هذا ويبدأ الكتاب **بفصل أول** يشكل مدخلا إلى علم السياسة، يتبعه المؤلف بفصل عن المستقبليات يتضمن عروضا لعدد من أهم نظريات وكتب المستقبليات مع شرح أو إشارة إلى رؤية شخصية أو عربية من هذه الطروحات.

ويتضمن **الفصل الثاني** عروضا نقدية للكتب المستقبلية التالية: **1**- تحول السلطة (توفلر). **2**- نحو بناء حضارة جديدة (توفلر). **3**- صدام الحضارات (هنتنغتون). **4**- تآكل المصالح الأميركية (هنتنغتون). **5**- الألفية الجديدة (أتالي). **6**- الإسلام والغرب (هاليداي). **7**- نهاية العلم (بارتنح). **8**- الأبعاد الدولية للصراع الداخلي (براون). **9**- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية (غارودي). **10**- مثلث الشؤم (تشومسكي). **11**- قراصنة وأباطرة (تشومسكي). **12**- النظم العالمية (تشومسكي). **13**- اله المعارك - الحروب المقدسة (بارتز). **14**- العولمة (فيراندیزي). **15**- النظر غير المتساوي. ولقد اخترنا لهذا الفصل عنوان "المستقبليات بين السيكولوجيا والسياسة".

أما **الفصل الثالث** من هذا الكتاب فهو بعنوان: "السياسة بين الفردية والعولمة" ويتضمن المواضيع التالية: **1**- سيكولوجية المعلومات. **2**- العولمة والمعلوماتية هذا المزيج القاتل. **3**-

الانهيارات المالية في البورصات- الفردية تهدد العولمة. 4- ثقافة الطفل العربي في الألف الثالث.

ويحمل **الفصل الرابع** عنوان (سيكولوجية الصراع العربي- "الإسرائيلي") ويتضمن: 1- سيكولوجيا الأسطورة في الإرهاب الصهيوني. 2- الأساطير "الإسرائيلية" المؤسسة لتنفيذ القرار (425). 3- إعادة تصدير اليهود العرب. 4- الهوية "الإسرائيلية". 5- دينامية الرأي العام العربي. 6- نهاية الأيديولوجيات- فرضية ساذجة. 7- المؤرخون الجدد والخطيئة "الإسرائيلية". 8 - الكابوس النووي وضرورة إخلاء الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

"**العرب والنظام العالمي الجديد**" هو عنوان **الفصل الخامس**، ويتضمن: 1 - النظام العالمي الجديد والمثقف العربي. 2 - أزمات الخطاب السيكولوجي العربي. 3- صور العري الأربع. 4- قضية الأخلاق في السياسة الأميركية. 5- الثورة الثانية في أميركا. 6- استعراضية اللوبي اليهودي. 7- هل الإيدز صناعة أميركية. 8- التحليل النفسي لشخصية كلينتون. 9- عبثية الراهن العلمي. 10- العرب بين الإرهاب والبحث العلمي.

ونأتي إلى **الفصل السادس** وعنوانه (سيكولوجية الكوارث العربية- لبنان نموذجاً) ويتضمن: 1- الانحراف والإحصاءات الوهمية في مجتمع الحرب اللبنانية. 2- التعيين والعدائية... سياسة الجمهورية الثانية 3- سيكولوجية الزعامة في الانتخابات اللبنانية. 4- العوامل النفسية المؤثرة في الانتخابات. 5- الآثار النفسية- المستقبلية لعناقيد الغضب. 6- صدمة قانا. 7- عقدة الخجل وشرعية الحياء.

أما **الفصل السابع** فيحمل عنوان: الشخصية العربية في عالم متغير، وهي ورقة قدمها المؤلف في مؤتمر جامعة دمشق، ونشرتها مجلات: "دراسات نفسية [مصر] و"دراسات عربية" و"الثقافة النفسية" "لبنان".

ويحمل **الفصل الثامن** عنوان "الشخصية العربية والوفرة الاقتصادية" وهو يربط بين الأمة (ككائن ذي استمرارية) وبين كل من السيكولوجيا والاقتصاد والسياسة.

ثم **فصل "سيكولوجية الشائعات" وهو التاسع**، ويتضمن: 1- تعريف الشائعة. 2- قانون الشائعة. 3- تصنيف الشائعات. 4- نماذج عن الشائعة السياسية.

ونأتي إلى **الفصل العاشر** والأخير الذي يحمل عنوان "السيكولوجيا السياسية في مجال الجاسوسية". ويتضمن: 1 - التأثير على الوعي وفيه يتوقف الكتاب عند التعذيب الإسرائيلي وأساليبه. 2- العقاقير النفسية في الجاسوسية. 3- الجراحة النفسية. 4 - غسل الدماغ. 5- تجنيد الجواسيس. 6- علم نفس الحروب. 7- فخ تحويل العلماء إلى جواسيس.

بعد كل ما تقدم سيخرج القارئ بانطباعاته الخاصة. وقد يفيده في تكوين هذه الانطباعات أن يعلم بأن بعضهم يعتبر السياسة قمة الهرم، و يرى أنها تسخر العلوم الأخرى.

ومنها النفسية، لخدمتها. فهي تستفيد من هذه العلوم كافة لتدعيم قدرتها الاتصالية (بالرأي العام المحلي والخارجي وبالمؤسسات والدول... الخ) وبالتالي قوتها. في حين يرى رأي آخر بأن السياسة عجزت عن التحول إلى علم حقيقي، وبأن العلوم الإنسانية والاتصالية خاصة ستأخذ منها مكانة الصدارة لتحولها إلى مجرد تطبيقات. بحيث يصح الحديث عن علم الاجتماع السياسي وعلم النفس السياسي وغيرها. وهكذا بحيث تتحول السياسة إلى مجرد ميدان تطبيقي لهذه العلوم.

أما عن الرأي الشخصي للمؤلف (الذي دفعه لكتابة جملة مقالات هذا الكتاب) فيقدمه على الوجه التالي: لقد وضع أرسطو السياسة في خانة العلوم التطبيقية، وقرنها بالأخلاق بدءا من سلوك الشخص وتدبير الاقتصاد العائلي، وصولا إلى تشكيل المدنية (أي السياسة التي وضعها في قمة الهرم). وسواء تكلمنا عن علم السياسة التقليدي أو علم النفس (أو الاجتماع أو الأنثربولوجيا... إلخ) السياسي، فإن الأهم هو الجانب الإنساني- الأخلاقي في تطبيقاته. وهذا مهمل في التعاطي مع القضايا والمصالح العربية. إنه النظر غير المتساوي الذي يحتاج للتقويم...

هذا الرأي ورد في تقديم المؤلف للطبعة الأولى من الكتاب الصادرة عام 1999، وهو يطرح بإلحاح أكبر فى ظل الظروف العربية الراهنة التى صدرت فيها الطبعة الثانية. ومع ذلك فإن النابلسي لم يتدخل بالإضافة على هذه الطبعة. فهو بحسب قوله لا يريد إدعاء الحكمة بمفعول رجعي، وحسبه أنه طرح في حينه قراءات ورؤى مستقبلية تجد تحقيقها اليوم. وخاصة لجهة علاقة السياسة بالأخلاق. فالحرب تكون دائما خاسرة إذا ما غابت الأخلاق عن ميدان المعركة. وحسب القارئ أن يتوقف عند الفصل الأخير من الكتاب ليطلع على الأصول والمحاولات التي مهدت لفقدان الأخلاق في سجن أبو غريب وغيره من المعتقلات.

أ.د. عبد الفتاح دويدار

*أستاذ علم النفس / جامعة الاسكندرية

الثلاثاء الأسود
خلفية الهجوم على الولايات المتحدة الأميركية

المؤلف: الدكتور محمد أحمد النابلسي.
الناشر: دار الفكر – دمشق 2001.

لقد كان للهجوم على الولايات المتحدة الأميركية في الحادي عشر من أيلول 2001 وقع الصاعقة على المجتمع الأميركي والدولي.

ذلك أنها المرة الأولى التي تتعرض فيها الولايات المتحدة إلى هجوم على رموزها الاقتصادية والعسكرية المتمثلة في مركز التجارة الدولي والبنتاغون وكادت طائرة من الطائرات المهاجمة أن تصل إلى البيت الأبيض لولا أنها أسقطت قبل وصولها إلى واشنطن.

والغريب أن وسائل الدفاع الجوي والاستخبارات الأميركية وقفت عاجزة عن التنبؤ مسبقا بهذه الضربات.

وهذه الحادثة المروعة لم تحدث من فراغ وإنما سبقها توتر أميركي داخلي وتصدير لفوضى سياسية على الصعيد الخارجي.

وقد استطاع الدكتور محمد أحمد النابلسي الخبير بالتحليل السياسي التنبؤ بما جرى نتيجة تحليله لما سبق من تحولات وتغيرات سياسية على الصعيد الأميركي، والدولي.

وهذا الكتاب دراسة بانورامية لمجمل العوامل التي لعبت دورا في الوصول إلى وقائع الثلاثاء الأسود.

ملف العدد

إذلال وتعذيب الأسرى العراقيين

قراءة نفسية - اجتماعية في العدوانية الأميركية

الدكتور حسين سرمك حسن

بغداد المحروسة

النفس المغلولة
سيكولوجية السياسة «الإسرائيلية»

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مراكز الدراسات النفسية ط2 / 2002

يقدم الكاتب تحليلا نفسيا لبعض المواقف «الإسرائيلية» عبر استنباطه للاشعور اليهودي المنتج لهذه المواقف والمحدد لاتجاهاتها. وفي سبيل ذلك يقوم المؤلف بتوظيف الأنثروبولوجيا النفسية والسيكولوجيا لتوضيح مواقف «إسرائيلية» مثل المراوغة والاحتيال في المفاوضات، ومحاولات الاختراق «الإسرائيلية» تحت مسمى «التطبيع». وأيضا زيارة شارون المشؤومة إلى الأقصى..إلخ، من مواقف الخداع «الإسرائيلي».

وكان لابد للمؤلف من البداية بتقديم تحليل نفسي للشخصية اليهودية، ليخلص من خلالها إلى التقرير بعجز «إسرائيل» عن إقامة علاقة طبيعية مع الآخر. لذلك فإن السلام يثير الرهاب والهلع لدى «الإسرائيليين». من هنا فهي تسخر قوتها وقدراتها على الاحتيال والخداع لتجنب كأس السلام.

فالنفس «الإسرائيلية» يستعبدها المال وتكبلها الشائعات وتخنقها الأساطير.... إنها النفس المغلولة.

التحليل النفسي للرئيس الأميركي
وودرو ولسون

المؤلف: سيغموند فرويد.

تعريب وتقديم: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية 2003

يبدو الفرق شاسعا بين سلوك الرئيس ولسون والرئيس ووكر بوش. لكن التحليل النفسي يربط السلوك بثنائية العواطف. بحيث يمكن للشخصية اعتماد السلوك أو عكسه بسبب هذه الثنائية.

إن قراءة تحليل فرويد لشخصية ولسون تبين تقاربها مع شخصية ووكر بوش. ولهذه المقاربة أهميتها في زمن الفوضى الأميركية الراهن.

لقد دخل ولسون بأميركا وحيدا إلى المسرح الدولي. وكان دخوله ضعيفا. وها هو بوش يخرجها من هذا المسرح مدفوعا بسيطرة من صقوره. ويبدو الخروج عنيفا ودمويا.

قراءة تحليل ولسون مفيدة لفهم زمن ووكر بوش الغامض.

وها هو الكتاب...

تقديم الملف

الحرب تصبح خاسرة إن هي فقدت الأخلاق....

عبارة محفورة على تمثال نصفي ليوليوس قيصر في المتحف الإيطالي. وهي تمثل عبرة تاريخية. فلكي تقنع شعبك بخوض حرب تعرض حياة ابنائه لخطر الموت عليك أن تقدم له أسباباً أخلاقية تبرر تلك الحرب. وهذا ما "فعلته" إدارة بوش باستغلالها ذرائع أسلحة الدمار الشامل العراقية وعلاقة العراق بالقاعدة، فحاولت إيجاد علاقة بين الأخيرة وحوادث ١١ أيلول، وقائمة من الذرائع التي تبين بطلانها بعد إعلان أميركا احتلالها للعراق.

هكذا سقطت الذرائع الأخلاقية للحرب الأميركية على العراق، فأصبحت الحرب خاسرة. وهذا ما يترجمه العجز الأميركي عن تأمين الحماية للجنود الأميركيين. ومع فقدان الأمن تمّ إطلاق الغرائز العدوانية وممارستها بصورة وحشية على الأسرى العراقيين. عداك عن لا أخلاقية إيقاع 700 قتيل مدني في يوم واحد في الفلوجة، ومن ثم قصف النجف الأشرف. لقد فقد الأميركيون أخلاقهم بصورة فاضحة ففقدوا الحرب. البعض يرى أن العراق لا يبلغ مستوى فيتنام. إلا أننا نقول إنه مستنقع أكثر تتانة. فقد كانت ذريعة الشيوعية لا تزال قائمة أيام فيتنام. وكانت مُعرَّفة بالدول الاشتراكية العدوة. أما اليوم فالبديل هو الإرهاب الذي لا يمكن تعريفه مع غياب دول عدوة واستبدالها بأشخاص مثل بن لادن والظواهري والزرقاوي..إلخ. فسحقاً للدولة العظمى التي تقود شعبها إلى حروب من هذا النوع، وبمثل هذه التبريرات الأخلاقية. باختصار، لقد قامرت إدارة بوش بكل الرصيد الأخلاقي الأميركي، ومعه بكامل المصداقية الأميركية، فخرجت على الأمم المتحدة ومجلس أمنها، وعلى حلف الناتو وتعديلاته الإستراتيجية، والعلاقة مع الأصدقاء العرب والشرق أوسطيين بمن فيهم تركيا. كما أن هذه الإدارة لم تحترم تعهدات الولايات المتحدة تجاه الصين ودول الاتحاد الأوروبي وحتى تجاه الهند و"إسرائيل". والأهم أن اللاأخلاقية الأميركية وصلت إلى حدود الوحشية بالتعامل مع الأسرى وانتهاك كل القوانين الدولية في هذا الخصوص. وليست فضيحة سجن أبو غريب سوى قمة رأس جبل الجليد في هذا النوع من الفضائح.

الزميل حسين سرمك حسن يكتب من بغداد دراسة حول إذلال الأميركيين للأسرى العراقيين. وهذه الدراسة هي موضوع الملف لهذا العدد.

أسرة التحرير

الحرب النفسية في العراق
متابعة للجوانب النفسية
في الحرب الأميركية على العراق

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية 2003.

بعد تحليله لشخصيات بوش وصدام حسين وعرضه للجوانب الإعلامية والشائعات والنكات الموظفة في الحرب الأميركية على العراق يطرح النابلسي السؤال اللغز والأكثر غموضا وهو المتعلق بكيفية تحقيق الانتصار الأميركي بهذه الصورة المذهلة؟. وهو سؤال يستتبع قائمة من الأسئلة الملغزة مثل: كيف انهارت الدفاعات العراقية بهذه الصورة المأساوية؟. ما هو مصير القيادة العراقية؟. هل استقرت أميركا في العراق أم أنها تورطت فيه؟. هل يمكن لمقاومة عراقية أن تنتظم في مواجهة الأميركيين؟. وأخيرا سؤال حول ما إذا كان نموذج حرب العراق كافيا لنصرة نظرية الحرب الاستباقية أم أنه يدحضها بالرغم من الانتصار الذي حققته أميركا في هذه الحرب؟. وعليه فهل تستمر أميركا في حروبها الاستباقية أم تنغمس في ورطة عراقية غير متوقعة؟.

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

إذلال وتعذيب الأسرى العراقيين
قراءة نفسية-اجتماعية في العدوانية الأمريكية

د. حسين سرمك حسن

طبيب نفسي/بغداد

1- أول ظاهرة في تاريخ العراق:

عندما أتحدث عن (أول ظاهرة في تاريخ العراق) فأنا هنا لا أقصد تعذيب المعتقلين العراقيين على أيدي المحتلين الأميركان، فقد تعرض السجناء العراقيون لأشكال مدمرة من التعذيب الجسدي والنفسي عبر مراحل مختلفة من التاريخ، قديماً وحديثاً، بل إن بعض أشكال التعذيب كانت من العنف والوحشية بحيث أنها أعطت انطباعاً عاماً عن أن هذه البلاد هي أرض العنف الدموي، إن ما أقصده بـــــ(أول ظاهرة في تاريخ العرب) يتمثل في أن المشهد السياسي العراقي بعد انكشاف فضيحة التعذيب شهد ظاهرة سلوكية غريبة لم تحصل في تاريخ السلوك السياسي، بل الاجتماعي، للفرد العراقي، وتتمثل في أن المواطن العراقي الذي يعد الشرف الشخصي والعرض جزءاً من مكونات شخصيه الأساسية من ناحية، ومسألة حياة أو موت تحت ظروف معينة من ناحية أخرى، يتعرض أخوته وأخواته المعتقلون للاغتصاب والإذلال الجنسي، وتنتهك أعراضهم، ويكون رد الفعل عبر تظاهرات هادئة ولافتات احتجاج ولقاءات تلفزيونية وأحاديث صحفية ومتابعات من قبل المشاهد العراقي لجلسات استجواب واعتذار ووعود بمحاكمات المسيئين من قبل المسؤولين الأميركيين. فما الذي حصل؟ ما هو السلبي والإيجابي في هذا التحول السلوكي؟ هل هذا هو ما تريده أميركا من تغيير سيكولوجي في البناء الشخصي للمواطن العراقي؟ هل ينبغي أن يشابه، بل ويطابق حسب الوصفة الأميركية، المجتمع العراقي في المجتمع المدني الأميركي؟ يأتي الآن السؤال -المفتاح هو: إذا كانت أميركا جادة فعلاً في تدريب وتطويع سلوك المواطن العراقي حسب شروط ومتطلبات المجتمع المدني، فلِمَ فعل الجنود الأميركيون ما فعلوه بالمعتقلين العراقيين وبالمواطنين العراقيين ككل من فضائح يندى لها جبين البشر في كل مكان؟ وسواء أكانت القيادات الأميركية العليا عازمة مسبقاً على هذه الممارسات أم لا، سواء أكانت قد أمرت أو شجعت على مثل هذه السلوكيات العدوانية المشينة، فهل من حقنا كمختصين في علم النفس والاجتماع أن نتوقع أو "نجزم" بأنها ستحصل "تلقائياً" بفعل عوامل سيكولوجية محكمة ومتأصلة تفعل فعلها في البناء النفسي للجندي الأميركي بشكل خاص، وللمواطن الأميركي بشكل عام؟ لنمضِ معاً بصورة متسلسلة ومبسطة بعيداً عن رطانة وصعوبات الخطاب النفسي المعروفة.

2- خطورة فصل الجزء عن الكل:

ينبغي أن ننبه أولاً إلى منزلق خطير قد يقع فيه الكثيرون وهم يحاولون التعامل مع الظواهر السلوكية بقصد الفهم والتفسير، وهو منزلق فصل الجزء عن الكل، أي فصل الظاهرة السلوكية المحددة عن إطارها النفسي الاجتماعي، بل وحتى التاريخي، العام: إن هذا الفصل قد يؤدي إلى إساءات فهم شديدة الأذى من ناحية، مثلما قد يؤدي إلى تحميل هذه الظواهر ما لا تحمله من ناحية أخرى، وعليه فإن سلوكاً معنياً لـ "س" من الناس مثلاً ينبغي أن يوضع في محله وشبكة علاقاته داخل إطار الكلية "س": طبيعة شخصيته، تاريخه الشخصي، الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي أحاطت بموقفه السلوكي... وهكذا يجب علينا أن لا ننسى أن العلاقة المتبادلة بين الفرد المعني "الأميركي هنا" والآخر وهو "المواطن العراقي هنا" والانطباعات المسبقة والأولية لكل منهما، هي أيضاً واحدة من المكونات الأساسية للصورة الكلية للظاهرة السلوكية المدروسة. فما هي الانطباعات التي كان يحملها كل من الطرفين قبل لقائهما في وبعد حرب الاحتلال عام 2003؟ ما هو التطور المسبق الذي كان يحمله الجندي الأميركي عن المواطن العراقي قبل أن تطأ قدما هذا الجندي أراضي العراق المقدسة؟ وما هي التصورات التي كونها المواطن العراقي مسبقاً عن الجندي الأميركي قبل أن يتعامل معه فعلياً بعد الاحتلال؟ وما هي الوسائل التي أسهمت في تشكيل الصورتين "صورة الجندي الأميركي وصورة المواطن العراقي" في عقل كل منهما، وما هي أهمية هذه الانطباعات المسبقة في تحديد أطر وأساليب التعامل بين الطرفين "ومن بينهما أساليب معاملة المعتقلين في سجن أبي غريب مثلاً"؟

3- الانطباعات المسبقة:

من المهم الإشارة ابتداء إلى حقيقة عدم وجود تعامل يومي واسع ومباشر بين المواطن العراقي والمواطن الأميركي، بالقدر نفسه الذي قام به التعامل بين المواطن العراقي والمواطن المصري والبريطاني على سبيل المثال، وعليه فهناك وسائل ووقائع محددة شكلت صورة كل ظرف وخصائصه الذاتية وسماته الشخصية في ذهن الآخر، ويمكن تحديد هذه الوسائل والوقائع في ما يأتي:

الصورة النمطية ((Stereotype))

وسائل الدعاية.

السجل التاريخي.

التجربة العملية.

أ- الجندي الأمريكي:

جاء الجندي الأميركي إلى العراق محتلاً وغازياً في عام 2003 وهو يحمل صورة عن المواطن العراقي شكلتها العوامل الأربعة أعلاه.

أولاً- فمن ناحية الصورة النمطية، وهو انطباع غير عملي ويقوم على أساس أفكار مسبقة لا تدعمها الوقائع أو الإحصائيات، وتكون عادة محملة بشحنة عاطفية، كأن تقول بأن الإنكليز باردون، وأن الإيرلنديين بخلاء وأن العراقيين كرماء.. إلخ.. والصورة النمطية التي يحملها الجندي الأميركي عن المواطن العراقي هو أنه -أي المواطن العراقي- من "بقايا" مجتمع ألف ليلة وليلة بكل ما يحمله ذلك المجتمع من معان فولكلورية وطبائع غريزية وسمات مخاتلة وسلوك مراوغ وعقلية خرافية غيبية وطقوس سحرية. إنه "قطعة" تراثية في عالم معاصر متمدن، إنه أداة تصلح "للخدمة" لا للقيادة، وكان بعض الجنود الأميركان يتوقعون مشاهدة قباب ومآذن وقصور عوالم ألف ليلة وليلة، بل وحتى أزياءها وتعاملاتها وفنونها ولياليها الحمراء، وكانوا يتوقعون رؤية حاوٍ وجرابه الممتلئ بالأفاعي أو الغجري وقرده اللعوب ذي المؤخرة الحمراء.

ثانياً- وقد تعززت الصورة النمطية اللاعلمية واللاواقعية من خلال فعل وسائل الدعاية وبشكل خاص الأفلام السينمائية والتلفازية "الهوليودية" والصحافة وغيرها. فقد عملت هذه الوسائل على تقديم صورة نمطية للمواطن العربي عموماً وهي صورة البدوي بملابسه التقليدية وبعيره المتعب، وهذا البدوي أما أن يكون هدفاً للسخرية بسبب حمقه وغبائه وتخلفه الحضاري أو أن يكون مراوغاً مخادعاً يستحق العذاب. أو شجاعاً لا يفهم غير منطق القوة، أو آلة جنسية استهلاكية لا تكل ولا تمل، وفي أفلام أخرى يكون "التابع" المخلص لـــــ "البطل" الغربي المخلص، والذي يبلغ في وفائه حداً يثير السخرية، ولم تسلم من ذاك حتى المجلات العلمية التي يفترض فيها التجرد والموضوعية، فهذه المجلة طبية اسمها "Medicine Digest" تنشر كاريكاتيراً (العربي بدوي يجلس على بساط وسط الصحراء وحيداً فريداً)، وقد كتب على البساط كلمة "Ambulance" بالانكليزية معناها "إسعاف" وفي كاريكاتور آخر يجلس العربي البدوي بزيه التقليدي مع بعيره في حالة انتظار عيادة طبيب بيطري وأمامه ينزوي المواطن الغربي مع كلبه الرقيق مرعوبين من هول المشهد!!.. وللإنصاف علينا أن نشير بصراحة إلى الدور الذي خلقته صورة وسلوك العربي الخليجي في السبعينات والثمانينات في ترسيخ الصورة السلبية للعربي. حيث أصبحت صورته لدى الغربي مرادفة لرائحة البترول والثراء الفاحش والتبذير والاستهلاك والابتعاد عن الثقافة وسهولة الانخداع أحياناً وغيرها.

ثالثاً- أما بالنسبة للسجل التاريخي فإن إطلاع الجندي الأميركي، بل وحتى المواطن الأميركي، على تاريخ المواطن العراقي ومآثر شعبه محدودة جداً إن لم يكن معدوماً حتى بين المختصين في الشؤون المعرفية والثقافية، والمقالات للشعب الأميركي كثيرة ومعروفة ويشير

بعضها إلى أن قسماً من الأميركيين لا يعرفون العواصم الأوروبية الرئيسية ولا أسماء رؤساء الدول الكبرى، الأميركي لا يرى ولا يعرف أبعد من دائرة وجوده اليومي، ومحيط صلاته الجغرافي وتضطلع وسائل الإعلام بحجتها الهائلة في تشكيل آرائه وانطباعاته ومواقفه. والمشكلة الأهم أن الأميركي أصبح منقطعاً عن تراث أمته نفسها، وكمثال على ذلك، هو ما نشرناه في صحيفة "الجمهورية"(1) العراقية قبل حرب الاحتلال الأخيرة بأشهر قليلة. زار بغداد صحفي أميركي يعمل في جريدة أميركية شهيرة "Christian Science Moniter" ليطلع على معاناة الشعب العراقي بسبب الحصار وبشكل خاص في الجانب الثقافي، فحاول أحد المثقفين العراقيين "هو المترجم المبدع صادق باخان " وكمفتتح للمحور، تذكيره بالكلمة التي ألقاها الروائي الأميركي الشهير "وليم فوكنر" صاحب رواية "الصخب والعنف " عند تسلمة جائزة "نوبل " فكانت الصدمة مشهودة في مقهى "الشاهبندر" في شارع المتنبي، حيث رد الصحفي الأميركي متسائلاً:- من هو "وليم فوكنر" رجاءً؟

وفي الواقع، فإن هذا الأمر هو جزء من ظاهرة أوسع وأخطر تتصل بشكل وثيق بالسيكولوجية الغربية عموماً، وبالسيكولوجية الأميركية خصوصاً، وتتمثل بأن الشرقي عموماً "يقرأ" الغربي لكن الغربي عموماً "لا يقرأ " الشرقي، أو أن قراءته له هي بحدود "المصلحة" السياسية والاقتصادية أو "الولع " المعرفي بـ"الأنتيكات " الشرقية القديمة، وهي قراءة تختلف جذرياً عن القراءة المدفوعة بوازع إنساني من أجل الفهم المتبادل لبناء حاضر مشترك يقوم على الإخاء والتطلع نحو مستقبل بشري آمن: يستطيع الكثير من المثقفين العراقيين حتى الشباب المبتدئين منهم، الحديث والكتابة باستفاضة عن إدغار آلن بو. وليم فوكنر، وتوني موريسون، ووالت وتمان، والشقيقين وليم هنري جيمس، وغيرهم من الكتاب والفلاسفة الأميركيين "وهو أمر تحفل به الصحافة العراقية منذ عقود" لكن لا يستطيع أي مثقف أميركي، حتى لو كان محترفاً وعلماً بارزاً، الحديث عن المتنبي أو الجواهري أو السياب ونازك... إلخ برغم أن هناك أسباباً كثيرة لهذا الخلل المعرفي وعدم التوازن الثقافي لا مجال لطرحها هنا إلا أن خطورتها تكمن في أن نتيجتها النهائية تعزز حالة قريبة من حالة الحرمان الحسي الثقافي-Sensory Deprivation- الذي يصب أخيراً في مجرى ترسيخ الصورة النمطية لدى المواطن الأميركي عن المواطن العربي عموماً، والمواطن العراقي خصوصاً.

رابعاً- أما من ناحية التجربة العملية فيمكننا القول إن المواطن الأميركي والجندي الأميركي لم تكن له صلات وتجارب عملية مباشرة مع المواطن العراقي وإن العلاقة بين البلدين، العراق وأمريكا، كانت محدودة جداً على شتى الصعد. وإن أول تجربة مواجهة عملية جاءت عاصفة ومدمرة خلال حرب تحرير الكويت من الغزو العراقي عام 1991. كان الجندي الأميركي "متعالياً" بعيداً يدمر الأهداف المدنية والعسكرية، ويحصد أفراد الجيش العراقي المنسحب باقتدار ورهاوة، وهو الأمر الذي عزز شحنة العدوان في داخله وفي سلوكه من ناحية، وصعد شعوره بالتفوق مقابل ضعف الآخر "الجندي العراقي " من ناحية أخرى. فقد

يقول قائل بأننا شاهدنا من على شاشات التلفاز جنوداً أميركيين يبكون وهم يودعون عائلاتهم، ويبكون وهم يشوون بحرارة صحراء العرب اللاهبة قبل الهجوم على العراق، وهذا قول صحيح وموفق لكنه لا يخرج عن إطار الانفعال البشري الفردي العادي، فحين جد الجد وبلغ السيل الزبى؟؟ كما يقال، لم يتورع هؤلاء الجنود عن دفن الأسرى من الجنود العراقيين أحياء وبكامل عدتهم، وهو أمر يخالف كل المواثيق الدولية.

ومن المهم التنبه إلى أن وسائل الدعاية الأميركية الرهيبة خلقت قبل الحرب عام 1991 وبعدها وخلال سنوات الحصار وقبيل الحرب الأخيرة في عام 2003 صورة دموية للمواطن العراقي والجندي العراقي خصوصاً، فالمواطن العراقي متوحش وخطير، وبإمكانه تدمير الكرة الأرضية وشعوبها المسالمة بنصف كيلو غرام من مسحوق أبيض، كما عرض ذلك السيد "ديك تشيني" على العالم من خلال شاشة التلفاز أواخر التسعينات لتبرير ضرب بغداد الحبيبة آنذاك، أما الجندي العراقي فهو الغول الذي قتل الأطفال الأبرياء في مجزرة "الحاضنات" في إحدى مستشفيات الكويت عام 1990 بعد الغزو، والتي ثبت كذبها لاحقاً، وأن إحدى شركات الدعاية أشرفت على فبركتها لتعبئة الرأي العام العالمي، والأميركي خصوصاً، ضد النظام العراقي الغازي، أي أن هذه الصورة خلقت لدى الجندي الأميركي شعوراً بان ما يمارسه من عنف وعدوان تجاه الآخر ما هو إلا تحقيق جزاء، وتنفيذ واجب مقدس في الوقت نفسه، وهو أمر في غاية الخطورة من الناحية النفسية، إذ يصبح الفعل العنفي "مبرراً" وهنا يصل أقسى مدياته بدون شعور مرافق بالذنب "**Guilt Feeling**" قد يخفف من النزوع التدميري، أو يوقظ عين الرقيب الداخلي /الأنا العليا/ الضمير داخل مم يمارس العدوان السافر. سنقفز من فوق سنوات الحصار المدمر لأسباب عملية ونقول أن التجربة العملية الثانية التي "جمعت" الجندي العراقي بالجندي الأميركي هي حرب الاحتلال في عام 2003 والتي استهلها الجيش الأميركي الغازي بعرض فلم تلفازي لأسرى من الجنود العراقيين بملابس داخلية نظيفة. والغريب أن القيادة السياسية الأميركية أقامت الدنيا ولم تقعدها بعد أيام من "العرض" حيث احتجت على عرض صور تلفازية لأسرى من الطيارين الأميركيين وقعوا بين أيدي القوات العراقية "هل الازدواجية جزء من السلوك السياسي الأميركي؟ سنرى ذلك. وبغض النظر عن كل الجهود التي بذلتها الإدارة الأميركية لتطوير الحرب، وكأنها حملة لإسقاط نظام مجرم وخطر على السلام في المنطقة والعالم ولـ"تحرير" أبناء الشعب العراقي، فإن الصاروخ الأول الذي سقط على بغداد المحروسة بالله فجر يوم الخميس (20/آذار/2003) قد أثار مخزون الذاكرة الجمعية العراقية عن الوقائع الفاجعة القريبة المتعلقة بالدمار الشامل الذي وجهته أميركا إلى كل مرافق الحياة في العراق، من الشمال إلى الجنوب ، ومن ا لشرق إلى الغرب في عام 1991 من ناحية، والحصار الشامل المدمر "وخصوصاً نقص الغذاء والدواء" الذي فرضته "وللأسف" من خلال منظمة الأمم المتحدة المعنية بسلام الشعوب من ناحية ثانية وهو الأمر الذي جعل العراقي يشكك في الأهداف المعلنة ويتحسب من النوايا الكامنة.

مشاهد لا تنسى:

يتذكر المواطنون العراقيون جميعاً التسمية التي كان يطلقها عليهم الجنود الأميركان بعد دخولهم بغداد يوم 9/نيسان/2003 وهي "علي بابا" وما تعنيه هذه الشخصية من فلهوة وخفة يد وشطارة، وهي في النهاية تسمية تتطابق مع الصورة النمطية التي يحملها الفرد الأميركي عن المواطن العراقي، وقد أدرك عامة العراقيين المغزى السيء لهذه التسمية، وكانت واحدة من ردود أفعالهم هي ترديد أغنية شاعت في أوساطهم يقول مطلعها:

مو علي بابا العراقي-سومري ومن أصل راقي (2)

منذ احتلال بغداد وحتى يومنا هذا تعرض القنوات التلفازية لقطات لجنديين أميركيين وهما يمتطيان نصب "أسد بابل" مثل الحصان ويسوقانه على طريقة "الكاوبوي" وهم يضحكان فرحين. هذا النصب قائم منذ آلاف السنين، وهو من شواهد الحضارة العراقية، وقد حاكت حوله العقلية العراقية الجمعية الكثير من الأساطير، بعضها يتعلق بالمحارم، وإذا أضفنا إلى هذا المشهد أن المتحف العراقي الغني بكنوزه الفريدة قد دمر وسلب تحت إشراف القوات الأميركية، وبتسهيل ومشاركة منها، والطريقة التي كان الجنود الأميركان يدوسون بها الآثار المحطمة بأحذيتهم الثقيلة، يمكننا أن نحصل على مؤشر مهما كان بسيطاً حول "عقدة التاريخ" الذي تعاني منه أمة مضى على قيامها خمسة قرون تحاه أمم راسخة الجذور في تربة التاريخ والحضارة.

ب - الجندي العراقي:

نعود الآن إلى ضفة الجندي العراقي خصوصاً، والمواطن العراقي عموماً، لنستكشف فعل العوامل السابقة في تشكيل استجابته السلوكية ومواقفه وقناعاته تجاه المواطن الأميركي خصوصاً.

أولاً- فمن ناحية الصورة النمطية المسبقة التي كان المواطن العراقي يحملها عن المواطن الأميركي والتي تتلخص في أنه فرد متطور جداً، وقوي جداً ولكنه مدمر وعنيف، ولا يعترف بغير مصالحه الشخصية، ولأن المورث التاريخي والحكائي والفولوكلوري هو من مصادر دراسة الشخصية القومية لأي شعب، يهمني هنا أن أنقل شاهدين يعكسان طبيعة النظرة التي يحملها العراقي عن أمريكا وخصائصها، ويعكس كلا الشاهدين ما رآه ويراه مختصون آخرون من أن العراقي ليس حيواناً اجتماعياً فقط، بل هو حيوان سياسي إذا جاز التعبير، ففي الشاهدين اهتمام حاد وشديد بالشؤون السياسية من أفراد لا تسعفهم ثقافة واسعة ولا شهادة جامعية. والأخطر أن فيهما استقراء لخصائص في السلوك الأميركي، ولتحولات عالمية تحققت لاحقاً، أو هي في طور التحقق:

الشاهد الأول هي حادثة نقلها المؤرخ العراقي السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه "الثورة العراقية الكبرى". "في 12/آب/1920 اجتمع رؤساء العشائر العراقية في مضيف "عبد الكاظم الحاج سكر" في "المشخاب" للتداول في شؤون المواطنين الذين نفتهم السلطة البريطانية إلى جزيرة "هنجام" فوقف السيد "محمد باقر الحلي" فجأة وسط المضيف وتلا هذه الأبيات من دون سابقة ولا استئذان:

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكرا

خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا

يريدون منكم بالوعود مكيدة

ويبغون إن حانت بكم فرصة غدرا

تريدون بالأقلام إنجاح أمركم

وهل تنفع الأقلام من حطم السمرا؟

ثم قال: "يا معشر خزاعة: إن "لمحمد" عليكم دينا يوم قال حينما ضرب الخزاعي من قبل أجلاف قريش: "لا نصرني ربي إن لم أنصر خزاعة". و"محمد" اليوم في حاجة إلى نصرتكم، فهل توفونه دينه؟"..

وقد دهش الحاضرون لهذه المفاجاة فقام الشيخ "سلمان العطبان" وجرد سيفه وهزه في وجه الخطيب، قائلا: "عند وجهك، أنا أخو فاطمة" ثم قام الجميع فهوسوا:

"بس لايتعلك بأمريكا" فكانت صرخة دوت دوي المدافع إن لم تكن أشد تأثيرا".. ومعنى ذلك أن الثوار يستطيعون تحطيم المحتل البريطاني بشرط أن لا يتحالف "يتعلق" بأميركا، لأن الأخيرة ذات قوة وجبروت، ولا يمكن مواجهتها، وهي الخارجة قوية من الحرب العالمية الأولى.

أما الشاهد الثاني فيتمثل ببيتي شعر للشاعر العراقي "ملا عبود الكرخي" (1861-1946م) في قصيدة له كتبها في عام 1925م وانتبه إليها أيها القارئ الكريم إلى التاريخ 1925م ويتحدث فيها عن النقص المتوقع في نفط الولايات المتحدة الأمريكية، ويقول فيهما:

منابع أمريكا بالنقصان

وتدريجا يجف اعتقدوا يا أخوان

وتبقى بعدها يا صاح بالميدان

منابعنا العراقية والوف آبار

وهذه الأبيات وغيرها تحمل في طياتها الإشارة الضمنية إلى احتمالات الطمع الأميركي بالنفط العراقي، وهو ما حصل فعلا، أي ملامح الصورة النمطية التي يحملها العراقي عن أمريكا هي أنها دولة طامعة لا تأتي إلى مكان إلا جريا وراء مصالحها.

ومن الأدلة التي تؤكد هذه الصورة النمطية التي يحملها العراقي عن قوة أميركا وجبروتها هي الأحاديث اليومية التي كانت تدور بين عامة الناس بعد دخول القوات الأميركية إلى بغداد والتي تعكس الآمال المفرطة التي بناها العراقيون على القدرة الكلية لأميركا-**Omnipotence**- ومن هذه الأحاديث: الآن سيتطور البلد "المقصود العراق".. أميركا قادرة على كل شيء...عمي هاي أمريكا... في أسبوع واحد سوف يتم تصليح الكهرباء، حتى "الهمبركر" سيضاف إلى البطاقة التموينية.. يمعود مولدات ينقلونها بالطائرات...لا شيء صعب على أمريكا.." وهكذا. وبالمقابل هناك التقاطات مهمة للثمن المتوقع: -يا أخي... هل جاءوا لسواد عيوننا...جاءوا من أجل النفط".

ثانياً- أما من ناحية وسائل الدعاية فإنها قد عززت تلك الصورة النمطية لأميركا في ذهن العراقي. في أغلب النتاجات الثقافية والفنية الأميركية التي تصل إلى المواطن العراقي تكون صورة الأميركي هي صورة "السوبر مان"، القوي، المقتدر المدمر والمنقذ، ولكنه في طريقه لإنقاذ الضحية وتحقيق هدفه يسحق كل شيء، بشراً وأشياء، بعيداً عن كل حساب ومعاقبة. أما صورة المجتمع الأميركي بشكل عام فهي صورة "الفردوس الأرضي"، مجتمع الحرية الكاملة وتوكيد الذات وتحقيق الطموحات والآمال، إنه المجتمع الذي يحظى فيه الحيوان "وبشكل خاص الكلب" على كل حقوقه، فكيف بالإنسان؟...

إن شعار المجتمع الأميركي الأساسي: "دعه يعمل، دعه يمر" صار هدفاً أو حلماً يراود مخيلة المواطن العراقي في مجتمع لا يحترم الكفاءة ولا يقدس العمل. ولكن هذه الصورة لم تكن كاملة الإشراق، وقد شابت بياضها خطوط سود حادة بسبب السجل التاريخي والتجربة العملية.

ثالثاً- ففي مجال السجل التاريخي، وبفعل كون المواطن العراقي حيواناً سياسياً، لم تكن الفظائع التي اقترفتها أيدي الإدارات الأميركية المتعاقبة في أماكن متفرقة من العالم بعيدة عن أعين العراقي، وبشكل خاص في فيتنام، هذا البلد الذي ذاق الأمرين بسبب العدوان العسكري الأميركي والحصار الاقتصادي الذي فرض عليه من جانب الولايات المتحدة الأميركية بعد انتهاء الحرب. هذا المجال خلق من التشابهات بين التجربة الفيتنامية والتجربة العراقية في مجال تأثيرات العدوانية الأمريكية. وقد كان للأحزاب الشيوعية، أيام الحرب الباردة، دور عظيم في توضيح إبعاد وقسوة هذه العدوانية أيام كانت أميركا شيطاناً رأسمالياً لدوداً لا "نبياً" أوحدَ ومسحاً تبارك الأحزاب التعامل معه والخضوع له فرضاً واقعاً أو تكتيكاً في ظل النظام الدولي الجديد... ولكن البقعة السوداء الهائلة التي تلمت بياض الفردوس المصنوع، وزرعت التحسب من روح العراقي تمثلت في موضوعة تعامل أميركا مع قضية فلسطين، وتحيزها السافر إلى جانب الكيان الصهيوني، وفي مجال قضية فلسطين تمتزج معطيات السجل التاريخي بإفرازات التجربة العملية المريرة. فبالنسبة للمواطن العراقي الذي تجري في

عروق لا شعوره الجمعي قضية اسمها فلسطين "ثلاث مرات يحرر العراقيون فيها فلسطين رغم بعدها الجغرافي عنها" فإن الانحياز الأمريكي لإسرائيل هو أمر عصي التبرير، عدائي، ولا منطقي، ويحمل الكثير من معاني الإجحاف والمهانة "مصالحهم لدينا وسيوفهم علينا".

رابعاً- أما في مجال التجربة العلمية فكانت التجارب الثلاث الكبرى مع أميركا مروعة ومدمرة، ففي مواجهة عام 1991 الكونية جمعت أميركا أكثر من ثلاثين دولة، وهجمت بثمانية وعشرين جيشاً على العراق لتحرير الكويت من غزو النظام السابق، لكن المرارة التي خنقت روح العراقي هو أن الحرب تحولت من "حرب تحرير الكويت" إلى "حرب تدمير العراق"، كان العراقيون مفجوعين وهم يرون بلادهم تدمر بلا رحمة، ويشاهدون ثمار تعبهم وعرقهم تسحق وتمزق عن بعد بفعل التفوق التكنولوجي المعادي. لم تسلم مدرسة أو مؤسسة.. معمل.. جسر... مطحنة... مسجد... كنيسة... وزارة... سوق...بيت.... فندق... مصفاة بترول.. محطة كهرباء.. بدالة.. ملجأ مدني...مشفى...خزان ماء..إلخ .... من القصف المدمر.... حتى معامل حليب الأطفال...وكان العراقي يتساءل لماذا؟.... استخدمت أميركا الأسلحة المحرمة دولياً: قنابل النابالم.. القنابل الإنشطارية... والأشد هو أسلحة المعاملة باليورانيوم المنضَّب – Depleted Uranium والذي رفع نسبة الإصابة بالسرطان إلى معدلات مخيفة "250 ألف مصاب سنوياً حسب آخر إجراء إحصاء لوزارة الصحة العراقية عام 2004" ولمن لا يعلم فإن بإمكان اليورانيوم المنضب البقاء في التربة لأكثر من (4) آلاف سنة "اليورانيوم المنضب أيها القارئ هو النفايات النووية التي تحتار الدول النووية في أي بلد نام تدفنها". "ملاحظة استدراكية: رغم إنكار أميركا استخدامها لليورانيوم المنضب إقرأ هذا الخبر الذي نشرته صحيفة "الصباح" في شهر أيار/2004: -"باشرت وزارة البيئة، وبالتعاون مع قوات الاحتلال بإجراء المسوحات الميدانية لمواقع تجمع الآليات والمعدات العسكرية الملوثة باليورانيوم المنضب المنتشرة في عدة محافظات، منها بغداد والبصرة وكربلاء، وغيرها، لرفعها ووضعها في أماكن معزولة وضمان عدم سرقتها والعبث بها، مما يسبب مشاكل صحية وبيئية-انتهى الخبر- ولاحظ أن الكيان الصهيوني هو الآخر استخدم هذا السلاح ضد الفلسطينيين".

وفي حرب عام 1991 قام الجنود الأميركيون بدفن الأسرى العراقيين أحياء وبكامل عدتهم، وفي هذه الحرب حصلت محرقة العصر –قيامة الدم- مجزرة ملجأ العامرية التي تم شي/شوي أكثر من أربعمئة مواطن عراقي أغلبهم من الأطفال الذين أحرقوا وهم أحياء، وبرر ذلك "نورمان العاصف" كما يُلقَّب في أميركا أو "شوارز كوف" الأمر ببرود أمام الصحفيين بأنه خطأ يحصل في الحروب عادةً. وحتى هذا اليوم أظهرت البحوث العلمية النفسية أن أقران الأطفال الذين أحرقوا ما زالوا يعانون من الأمراض النفسية، كما أنهم يتجنبون المرور قرب الملجأ في ذهابهم وإيابهم من وإلى مدارسهم رغم قصر الطريق. في ملجأ العامرية طفل لديه شهادة وفاة، لكن ليس لديه شهادة ميلاد، لأن أمه هرعت به حال ولادته إلى الملجأ هرباً

من قصف الطائرات الأميركية. وهي حالة نادرة في التاريخ (3) هذه جوانب من أول تجربة عملية للمواطن الجنوبي العراقي مع أميركا.

ولكن قبل الحرب وخلالها وبعدها فرضت أمريكا حصاراً اقتصادياً وعلمياً شاملاً ومدمراً على الشعب العراقي وصفه المفكر الأميركي "نعوم تشومسكي " بأنه من أخطر أنواع أسلحة الدمار الشامل ومات من جراء هذا الحصار أكثر من مليون مواطن عراقي جلهم من الأطفال والشيوخ: باع العراقيون الأبواب الداخلية والشبابيك: أكلوا العلف الأميركي المخصص للثيران، لبسوا الملابس الأجنبية المعادة والمستعملة "اللنكات "، شربوا الماء الآسن.. دفنوا طوابير من الأطفال والأمهات بسبب نقص الدواء... تحطمت قلوب الأمهات بسبب المولودين المشوهين، باع البعض كليته..و..و..و... وكل ذلك من أجل أن تُسقط أمريكا "صدام حسين " ولم يكن العراقي قادراً على فهم سر هذه المعادلة المميتة التي تشرف عليها الأمم المتحدة المسؤولة عن رخاء الإنسانية، وسلامها الشامل، وكانت هذه الجوانب مريرة من التجربة العملية الثانية التي امتدت لأكثر من عشر سنوات بين العراق وأمريكا. الآن نحن أمام التجربة العملية الثالثة، حرب الاحتلال عام 2003، بين العراق وأميركا. دمر الجيش العراقي، وأسقط النظام واحتل العراق في سابقة فريدة في التاريخ من خلال حرب فرضتها ثلاث دول خرجت على الإجماع الأمم المتحدة، واجتمعت في جزيرة. ظهر الآن أن الأسلحة الدمار الشامل كذبة تأسست على خدع استخبارية وأخطاء معلوماتية.. لكنها حرب جاءت معها وعود وآمال بـ"التحرير" والرخاء والسلام.

ملاحظة مدمرة: صورة الطفل العراقي "علي " الذي أباد القصف الأميركي جميع أفراد عائلته تلخص محنة التجربة العملية للعراقي مع أميركا خلال العقدين الأخيرين، وفي الحقيقة إن هذه الصورة تلخص السلوك الأميركي في علاقته مع الآخر عبر خمسة قرون تشكل تاريخ الأمة الأميركية، فحين كان الطفل علي في كامل عافيته، ويداه سليمتان، منعت عنه أميركا كل شيء.. كان يتحسر من أجل دمية أو لعبة.. ولكن بعد أن قطعت أميركا ذراعيه نقلته إلى أرقى مستشفيات الكويت. وأغرقته باللعب والدمى والهدايا!!

4- ثلاث ركائز أساسية للعدوانية الأميركية:

لا يمكن استكمال ملامح صورة العدوان في الشخصية الأميركية "أفراداً ومقاتلين " من دون التعرض لثلاث ركائز أساسية في مجال تشكيلها، وتتمثل في الفلسفة الحاكمة، سيكولوجية النخبة، السياسة الحاكمة، وطبيعة المجتمع الأميركي، وسنتناول كلاً من هذه الركائز بقدر صلته بموضوعة سمة العدوان في الشخصية الأميركية.

أ- في مجال الفلسفة الحاكمة، فمن المعروف أن سياسات المجتمع الأميركي ومفاهيم الدولة الأميركية قد تأسست على طروحات الفلسفة البراجماتية، هذه الفلسفة التي أرسى

دعائمها "وليم جيمس" وهو صاحب البراجماتزم أو المذهب العملي، يقول: إننا لكي نجد معنى للفكرة ينبغي أن نفحص النتائج العملية الناجمة عن هذه الفكرة، ونتوصل إلى تعريف جديد للحقيقة، فالحقيقة هي القيمة الفورية للفكرة، فعوضاً عن أن نتساءل عن مصدر الفكرة، ومن أين جاءت فإن البراجماتزم تفحص نتائجها، الحقيقي هو ما ينجح، إن أي شيء ينجح في أن يحرز مكانة خاصة به وفي أن يفرض نفسه على تيار التغير تصبح مكانته قائمة وثابتة (4) وحسب هذا الفيلسوف فإن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يفترس أبناء نوعه، إذ أن الإنسان قد تكيف وإلى الأبد مع حالة الحرب، ولا يمكن لسنوات السلام، مهما طالت، أن تمحو من الوجدان الإنساني الرغبة في الحرب (5).

لقد ولدنا كلنا لنحارب، بل إن الحرب هي الطبيعة البشرية في ذروتها، والمجتمع سيصاب حتماً بالعفن من دونها. دون ذلك "البذل الصوفي للدم" كما يسميه "جيمس". وما سمو العقل بين سائر البشر إلا نتيجة الرغبة في السيطرة أن تذبح الآخرين أو تُذبح وفي داخل هذا الإطار الفلسفي لابد وأن ينشأ نمط إنساني يجسد هذه الفضائل أو هذه الرذائل أو هذه الصفات التي لا هي بالفضائل ولا بالرذائل، لأنها قانون طبيعي يعلو على الخير والشر إن آردنا استخدام المصطلح النتشوي، وهذه الشخصية في كتابات "جيمس" هي الرائد الأميركي أو الكاوبوي المؤمن بمقدراته الخارقة للعادة على إخضاع أي شيء، وعلى غزو البرية العذراء – ولنلاحظ الخلفية الطبيعية لسلوك الرائد، فهو يتحرك دائماً خارج التاريخ، أو على هامشه.

الرائد يترك تاريخه وتراثه وقيمه وأسرته، ويحمل مسدسه وجسده ليدخل في صراع مع الآخرين يكون هو الصياد أو الفريسة. وفي هذا الإطار يمكننا أن نفهم الجوهر الرأسمالي الكامن وراء عبارات براجماتية نشطة مثل المخاطرة، الممارسة الحرة، عالم بلا ضمان الصدفة، الحرية الكاملة، مشروع لا تعرف نتائجه مقدماً..إلخ. الفلسفة البراجماتية، إذن، هي سبب ونتيجة للمجتمع الأميركي تبرر العنف في التعامل مع طبيعة ومجتمع بكر جديد، وتتحرك خارج التاريخ في مجتمع لا تأريخ له: "أمة مهاجرين تركوا تأريخهم وراءهم "(6).

ب-أما في مجال الصفوة السياسية الأميركية التي تضع السياسات والبرامج وتصمم علاقات الأميركي بالآخر فيمكننا القول بأنها صفوة مولودة بحق عن مجتمع بني على العنف وتقوده مبررات العنف، وتضع له أرضية علمية ومبررات عملية "نفعية" ففي أثناء الحرب على العراق عام 1991 وخلال مداخلات المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال "شوارز كوف" أو "نورمان العاصف" -كما يلقب في أميركا حول قصف ملجأ العامرية المدني. سأل أحد الصحفيين الأجانب عن سبب استهداف المدنيين العراقيين فقال "شوارزكوف": "المدنيون العراقيون يجب أن يعاقبوا كلهم.. والسبب هو أنهم كلهم صفقوا لصدام حسين عندما غزا الكويت"!! قبل ذلك وقبيل نهاية عام 1990 وأزمة الكويت تغلي وتتصاعد قال السيد "كولن باول" وزير الخارجية الأميركي الحالي، ورئيس أركان هيئة الحرب آنذاك رداً على سؤال لأحد

الصحفيين: "سوف نجعل العراقيين يكرهون أنفسهم!!".. ويمكن للقارئ أن يمسك بنقطة التلاقي المشتركة بين تصريح شوارز كوف وباول، فكلاهما يمد الفعل العسكري العدواني ويوسعه ليشمل المدنيين خلافاً لأي منطق تحدده المواثيق والأخلاقيات التي تتشدق بها الصفوة الحاكمة الأميركية.

" ملاحظة: من المهم أن الفت انتباه القارئ الكريم بأنني لست معنياً هنا بتناول الدوافع السياسية للنظام العراقي السابق أو لدولة الكويت، أو لدولة الولايات المتحدة الأميركية، بقدر اهتمامي بتوظيف المعطيات السياسية والسلوكيات العملية لأطراف الصراع من أجل هدف الدراسة الأساسي، وهو النظر إلى فاجعة تعذيب المعتقلين ضمن إطارها الكلي، وهو الطبيعة العدوانية للشخصية الأميركية مجسدة من خلال العلاقة بين المواطن العراقي والجندي الأميركي كأنموذجين حيويين معبرين عن شخصيتين أميتين متمايزتين ".

وفي الجلسة التاريخية المشهودة التي جرت بين "جيمس بيكر" وزير خارجية أميركا خلال حرب عام 1911 و"طارق عزيز" وزير خارجية العراق آنذاك، قال الأول مهدداً بأنه في حالة عدم انسحاب الجيش العراقي من الكويت فإن أميركا سوف تعيد العراق إلى عصر ما قبل الصناعة ويمكن للقارئ الانتباه إلى "توسيع " الهدف العدواني مثلما حصل على أيدي الجنرال شوارزكوف والجنرال باول، فشحنة العدوان الطافحة جعلت "النوايا" تنفلت من بين قبضة أصابع الوعي الحاكم. وهذه من الحالات الفريدة التي يعلن فيها المخطط عن نواياه الخفية ويقوم بنفسه بهتك أستار مؤامراته، وهذا لا يمكن أن يحصل إلا إذا كانت دفعات عدوان المتآمر قد وصلت حداً لا يطاق، وبدأت تسوق الفكر والإرادة والمشاعر إلى العلن وفق منطقها، وهذا لا يمكن أن يتم إذا كانت "الآلة النفسية": للصفوة الحاكمة مبنية على أسس العنف والعدوان التي تجد لها متنفساً معقلناً من خلال التخطيط السياسي والعمل العسكري. إذ ما علاقة العمل الموجه نحو "تحرير" دولة بإعادة شعب الدولة الغازية إلى العصر قبل الصناعي؟.

ألمحنا قبل قليل إلى ازدواجية المعايير الأميركية وبشكل خاص في مجال العدوان واستخدام العنف، ونود هنا ربط هذه الازدواجية بظاهرة سلوكية عملية تميزت بها النخبة الحاكمة الأميركية، والتي تتمثل في أن "القائد" الأميركي الذي يتولى دفة القيادة يكون "صقراً" في الحكم و"حمامة" خارجه، لنأخذ مثلاً عن "كارتر" الرئيس الأميركي. الآن يمارس الرئيس "كارتر" دور حمامة بيضاء في مجال حقوق الإنسان، ولكنه لم يكن يتورع، وهو على سدة الرئاسة، عن اتخاذ القرارات خسة وسحقاً لحقوق الإنسان.. يقول "تشومسكي ": "رأى كل ذي عينين مشاعر "كارتر" العميقة تجاه جريمة الحرب المحتملة بالعدوان من خلال رد فعله على الغزو الإندونيسي "لتيمور الشرقية". وعندما قارب العنف الإندونيسي حد الإبادة الجماعية عام 1978، وشارفت مخزونات الأسلحة الإندونيسية حد النفاذ، زادت إدارة كارتر في تدفق الأسلحة للحليف الإندونيسي زيادة حادة" (7). ولا يمكن فهم متناقضات، وازدواجية مثل هذه

الأفعال، من قبل الصفوة الحاكمة الأميركية، إلا من خلال فهم الفلسفة الحاكمة من ناحية، وطبيعة الحضن الاجتماعي الذي تتربى داخله هذه الصفوة من ناحية أخرى، وهو ما سننتقل إليه الآن.

ج- الآن ننتقل إلى موضوعة المجتمع الأميركي ككل، والكيفية التي ينمي بها دوافع العنف والعدوان لدى أفراده، لنستمع إلى ما يقوله المفكر "نعوم تشومسكي": "لقد استيقظت ذكرياتي الخاصة قبل أسابيع من انكشاف مجزرة "ماي لاي" عام 1969، وذلك أثناء تصفحي لأحد نصوص كتاب الصف الرابع الإبتدائي الذي يتحدث عن استعماريي "نيو إنغلند" كان الكتاب مقررا دراسيا في ضواحي بوسطن المعروفة بجودة مدارسها. ويقرأ الأطفال سردا معقول الدقة لمذبحة "البيكوت" التي يمتدحها الكاتب كثيرا. لكن ما هو هذا النص الذي أثار ألم المفكر "تشومسكي" والذي يدرس لطلبة الصف الرابع الإبتدائي في الولايات المتحدة؟ النص يتحدث عن تطهير منطقة نيويورك من حثالة السكان الأصليين، ويقول: "لقد أتوا أفعالا تليق بالرومان عندما قتلوا كل ذلك العدد من الناس النائمين، حيث انتزع الرضع من على أثداء أمهاتهم ومزقوا إربا أمام ذويهم، ورميت أشلاؤهم في النار وفي النهر، أما الرضع الآخرون الذين كانوا مربوطين إلى مهودهم الخشبية الصغيرة فقد قطعوا بالسيوف وطعنوا وذبحوا بوحشية تحرك قلب الحجر. وعندما رمي بعضهم في النهر أحياء، وجاول آباؤهم وأمهاتهم إنقاذهم، لم يسمح لهم الجنود بالعودة إلى اليابسة. وجعلوا كلا من الآباء والأبناء يغرقون "(8).

لننتقل الآن إلى جانب إحصائي عن العنف في المجتمع الأميركي وحسب ما ورد في تقرير مكتب التحقيقات الفدرالي حول الجريمة المنظمة، وذلك لعام 1995 فقط، .. يقول التقرير إن (1.8) مليون جريمة عنف "قتل، اغتصاب، سطو، مسلح..) ارتكبت في الولايات المتحدة في ذلك العام "أي بمعدل (5000) جريمة يوميا، أي زهاء (208) جرائم في الساعة أي (3) جرائم في الدقيقة الواحدة) ومن بين الـــــ(1.8) مليون جريمة عنف كانت هناك (97464) جريمة اغتصاب (أي 28 جريمة اغتصاب يوميا تقريبا) و(21597) جريمة قتل ارتكب أكثر من (70٪) منها باستخدام البنادق. وفي الولايات المتحدة يعد القتل السبب الرئيسي الثاني للموت بين الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين (15-25) سنة.

وإضافة إلى ذلك فإن احتمال تعرض الشخص الأسود للقتل يفوق الشخص الأبيض بـــ(8) مرات. وحسب اللجنة الوطنية للوقاية من سوء معاملة الأطفال هناك (3) ملايين حالة من حالات تعذيب الأطفال أو إهمالهم في عام 1994. وفي كل سنة يتسبب تعذيب الأطفال وإهمالهم (2000-4000) حالة وفاة. وفي كل سنة تضاف (150000 -200000) حالة جديدة من سوء المعاملة الجنسية للأطفال.

أما بالنسبة لضرب الزوجات فيعتقد أنه يحصل في (2-12) مليون عائلة أميركية، وتتعرض (15-25٪) من النساء الحوامل للضرب في أثناء الحمل، وينتج عن ذلك تشوهات

ولادية، وقد يكون الضرب عنيفاً بحيث يؤدي إلى كسر الأطراف والأضلاع والنزف الداخلي وضرر الدماغ.

5- استنتاج:

نستنتج مما سبق أن المجتمع الأميركي مجتمع عنف، وأن الثقافة الأميركية هي ثقافة عنف، وأن سمة العدوان هي من السمات الأساسية في شخصية الفرد الأميركي. إن ركائز المجتمع الأميركي الأساسية: الفلسفة الحاكمة والنخبة الحاكمة وثقافة المجتمع وشبكة علاقاته كلها تتظافر في عمقها لتفريغ ثقافة العنف ونشرها داخل وخارج المجتمع الأميركي. ويكفينا القول إن الطفل الأميركي يشاهد أكثر من (20000) جريمة عنف في التلفاز إلى أن يصبح عمره (18) عاماً، عليه فإن من النتائج المتوقعة (وليست الشاذة والغريبة) أن تحصل ممارسات عنيفة من قبل الجنود الأميركيين في العراق، ومن بينها تعذيب المعتقلين العراقيين (نساء ورجالاً) في سجن أبي غريب وغيره من المعتقلات والسجون، ومن الشواهد المريرة التي لن تمحي من صفحات الذاكرة العراقية هو الأمر الغريب الذي حصل في أحداث مدينة (الفلوجة) لقد قام الجنود الأميركان بقتل (146) امرأة عراقية أغلبهن عن طريق (القنص أي الرصاصة في الرأس) أي أن الجندي الأميركي يرصد المرأة ويشاهد غباءتها وغطاء رأسها ثم يوجه رصاصته إلى رأسها مع سبق الإصرار والترصد، وهذه بالمناسبة هي الطريقة نفسها التي يصفي بها الجنود "الإسرائيليون " المقاومين الفلسطينيين (رصاصة في الرأس) ومن المثير للانتباه هو أن التطابق بين السلوك العدواني الأميركي والسلوك العدواني "الإسرائيلي" يمتد ليشمل طرق التعذيب التي تعرض لها المعتقلون العراقيون. فحسب شهادات الكثير من السجناء الفلسطينيين يشكل الاغتصاب والإذلال الجنسي واحداً من أهم أساليب تحطيم معنويات السجين وكرامته.

6- نظرة في التطابق الأميركي الصهيوني:

تستولي الحيرة على المواطن العربي عموماً وهو يلاحظ الالتحام المصيري بين أميركا و"إسرائيل " الذي، في الظاهر، يكاد يضحي بالمصلحة الأميركية وبمصداقية الإدارات الأميركية المتعاقبة. لكن الأمر لا يستعصي على الباحث المختص وهو يرى أن التطابق (نفسي) حاسم إذا جاز التعبير، لقد أكد الرئيس الأميركي "بوش " في آخر حديث له قبل أسابيع أمام منظمة "إيباك " اليهودية هذا التطابق من خلال قوله بأن أميركا و"إسرائيل " أمتان قامتا على أساس الجهود الجبارة للمهاجرين، ومن هذه النقطة المبكرة في تاريخ المجتمعين بدأ التطابق "النفسي" فقد قامت الدولتان الأميركية والصهيونية على أساس مسوغ براجماتي عبّر عنه الشعار القائل: أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، ولتنفيذ المشروع الأميركي والصهيوني كان لزاماً أن يجتث شعبا الأرضين، (الهنود الحمر في أميركا ولعرب في فلسطين). إن من نقاط

التشابه الرئيسية بين المجتمعين "الإسرائيلي" والأميركي أن كليهما مجتمع استيطاني يتكون بمجرد وصولهم إلى نيويورك أو (حيفا). واكتساب الهوية الجديدة هو مشكلة المشاكل بالنسبة لكل المجتمعات الإنسانية الرافضة للتاريخ والتراث والتي تفبرك (تراثاً جديداً) يدور حول أسطورة بسيطة يؤمن بها (الإنسان الجديد) فأميركا استحدثت أسطورة (آدم الجديد الديموقراطي) الذي يأتي إلى الأرض أو الجنة العذراء ليقيم فيها ويستلهم كل ما في التراث العالمي من إيجابيات، وينفتح على كل الحضارات والصهاينة، فبركوا أسطورة اليهودي الخالص المنفتح على الحضارة اليهودية الخالصة والذي يهاجر إلى "أرض الميعاد" اليهودية. وعقلية الريادة تسيطر على كل من الصهاينة والأميركيين، فالبيوريتانيون (اكتشفوا) أميركا ثم انتشروا فيها عن طريق إنشاء مستعمرات ذات طابع زراعي عسكري، والمستوطنون الصهاينة هم الآخرون (اكتشفوا) فلسطين واحتلوها الطريقة نفسها، وعقلية الرائد عقلية تفضل الفعل على الفكر والنتائج العملية على الاعتبارات الخفية "براجماتية" إنها عقلية الكاوبوي "وهي شخصية تعشقها الجماهير "الإسرائيلية" التي تدمن على مشاهدة الأفلام السينمائية من جميع الأنواع "، الكاوبوي الذي ينتصر لأنه يطلق مسدسه في الوقت المناسب وقبل خصمه بثوان قليلة، وقمة الفعل هو دائماً ذبح الخصم.. ولعل نقطة التشابه الأساسية بين الوجدان الأميركي والوجدان "الإسرائيلي" هو العنف العنصري، فرفض التاريخ نتج عنه تعام عن الواقع وتجاهل لكل تفاصيله، ولذلك وقع البيوريتانيون والصهاينة في تناقضات رؤياهم المثالية، رؤيا عالم جديد بريء بسيط لا يمكن أن يشيد إلا عن طريق العنف والإبادة إبادة الهنود الحمر والفلسطينيين " (9) الفردوس والجحيم في آن واحد. ويكفينا القول أخيراً إن مؤسسي الجمهورية الأميركية بعد إعلان الاستقلال قد فكروا في جعل اللغة العبرية لغة الدولة الرسمية باعتبار أن الجمهورية الوليدة هي صهيون الجديدة، ولكن الاعتبارات العملية جعلتهم يعدلون عن تهيؤاتهم (10). ولذلك يجد المراقب العام الكثير من التطابقات في السلوك السياسي الأميركي و"الإسرائيلي" وليس آخرها التشابه في أساليب التعذيب التي يتعرض لها المعتقلون العراقيون والفلسطينيون، والتي يشكل الإذلال والامتهان الجنسي محورها المركزي.

7- بعض الأطفال خرجوا عن السيطرة:

بهذه الجملة البسيطة وصف المسؤولين الأميركان ما حصل من انتهاكات لا أخلاقية في معتقل "أبو غريب" على أيدي الجنود الأميركان. وفي طيات هذه الجملة توصيف حقيقي للنظرة الأميركية إلى الفعل العنفي الذي يقوم به أبناء المجتمع الأميركي ضد "الآخر". هكذا ببساطة. مجموعة أطفال خرجوا عن السيطرة، ولا داعي لإقامة الدنيا وتحميل الأمر مالا يحتمل من تفسيرات وتحليلات وإيحاءات. تحول الأمر إلى جلسات مريحة ومطولة من الحوارات/ الاستجوابات والمساءلة عن هل من قاموا بالأفعال المدمرة هذه مجموعة من الجنود الساديين، أم أنها أفعال منظمة ومخططة وبتوجيه من جهات قيادية عليا؟

يكفينا الآن سؤال واحد: ألم تكن الإدارة الأميركية، السياسية والعسكرية في أميركا وفي العراق، وشعوب العالم تشاهد الجنود الأميركيين، ومنذ أكثر من سنة وهم يغطون رأس المعتقل العراقي بالأكياس المطاطية أو الورقية ويقتادونه إلى المعتقل؟ ومن هنا يبدأ التعذيب النفسي والجسدي من لحظة الاعتقال، لأن هذا الإجراء، وضع الكيس على الرأس، هو شكل من أشكال الحرمان الحسي- حيث يجرد المعتقل من المثيرات البصرية بصورة نهائية، وهنا يصبح تحت رحمة جلاده بصورة مطلقة، فهو، أي المعتقل، لا يرى شيئاً، ويعتمد على الجندي الأميركي الذي سيصبح صاحب القرار الفصل في حركته وأفعاله.. يقوده كيفما يشاء وإلى أين يشاء. إن السجين يصبح الآن في وضع "طفلي" ناكص، معدوم الإرادة، أعزل، إنه في وضع "المخصي" وفق طروحات التحليل النفسي، فأي وضع يعيد السجين البالغ الراشد إلى موقع الاعتماد الطفلي على سجّانه في القيام بأبسط أمور حياته هو في الحقيقة وضع "إخصائي". إنه، أي السجين، لا يستطيع "رؤية" سجّانه الآن، ولا يستطيع تحديد مصدر التهديد، وعليه الاستقبال السلبي لكل تهدي محتمل، وليس عبثاً أن "فرويد" اعتبر سمل "أوديب" لعينه مستخدماً أسياخ الحديد المحمرة مكافئاً للإخصاء الفعلي. والعين هي بالنسبة للإنسان هي "يد" نفيسة خطيرة الفعل تشل اليد البشرية الفعلية، بل والمبادرة الفردية كلياً في حالة تعطيل حاسة الإبصار، وهذا ما يحصل عند عصب عيني السجين أو إدخال رأسه في كيس، وهو ما يقوم به الجنود الأميركان من لحظة الاعتقال الأولى، ولا يتمثل التأثر السلبي المدمر لها "العمى الاصطناعي القسري" في فقدان القدرة على الفعل والاستقبال السلبي والاعتماد الطفلي فحسب، ولكنه يتمثل أيضاً، وهو الأمر الأخطر في "قلق التوقع" إذا جاز التعبير. ويأتي هذا القلق شاملاً وشديداً، إذ لا يستطيع السجين تحديد مصدر واتجاه ونوع وهدف أي تهديد، وما دام العجز شاملاً وكلياً بهذا القدر فإن التهديد والخطر ليس محتملاً فحسب، بل هو واقع فعلياً. وهذا التحسب المستمر والتحفز والقلق المشتعل لمواجهة عدوان السجّان الدائم لا يضعف مقاومة السجين (النفسية) فحسب، بل يرهقه أيضاً، ويستنزف مخزون طاقته الجسدية "في الكبد والعضلات" وقد يصيبه بالأمراض العضوية. فحسب نظرية العالم "هانتس سيلي" فتعرض أي فرد لنوع من أنواع الكرب أو الشدائد النفسية أو العضوية مثل الاعتقال أو التعب العضلي أو الالتهابات فإن جسمه يمر بثلاثة أدوار متلاحقة هي باختصار:

- الدور الأول هو دور إنذار **Alarmstage** وفيه تتم تعبئة أجهزة الدفاع في الجسم ويزيد إنتاج الطاقة إلى أقصاه لمواجهة الحالة الطارئة ومقاومة الضغوط. وإذا استمر التوتر انتقل الجسم إلى المرحلة الثانية.

- الدور الثاني هو دور المقاومة **Stage Resistance** ومنها يكون الجسم في يقظة تامة لمقاومة الشدائد المستمرة، ولكن لهذا ثمنه، إذ يقل أداء الأجهزة المسؤولة عن نمو وإصلاح الأنسجة والوقاية من العدوى تحت هذه الظروف وبالتالي فالجسم يكون في حالة إعياء وضعف، ومعرضاً للمرض، وإذا استمرت الضغوط ننتقل إلى المرحلة الثالثة.

- الدول الثالث هو دور الإعياء StageExhaustion حيث لا يتمكن الجسم من الاستمرار في المقاومة إلى مالا نهاية وتظهر عليه علامات الإعياء (١١).

ومرحلة الإعياء هذه هي التي يريد السجان جعل السجين يصل إليها في أسرع وقت، ففيها تضعف إرادة السجين وتلين مقاومة، ويصبح أكثر تأثراً بالإيحاء، وأكثر تعاوناً في جلسات الاستجواب. وأكثر السجانين/ الجلادين قدرة وتميزاً هو من يصل بأسيره إلى هذه المرحلة بأقل الخسائر الجسدية التي يمكن أن تدينه أمام أية لجنة مراقبة.. والمفتاح الأساسي في الوصول إلى هذه المرحلة هو زرع الاعتماد الكلي لدى السجين على السجان في كافة شؤونه، أي الاعتماد الطفلي الذي قد يتبعه نكوص فعلي Regreession في سلوك السجين بيسر مهمة المستجوب، ويتم التعجيل بهذا الاعتماد من خلال الحرمان الحسي الذي هو أصلاً أهم أسس عمليات غسل الدماغ – التي مارسها الصينيون بنجاح في القرن الماضي، إذ كان يحتفظ بأسير الحرب مثلاً في زنزانة مظلمة لأسابيع أو لشهور، وقد استبدل المحتلون الأميركيون الكيس بالزنزانات المظلمة، حيث تكون النتيجة واحدة، بل هي أكثر شدة ووقعاً في طريقة الكيس الذي يغطي رأس السجين حيث يجرده من حاسة البصر في حين يبقى مسيطرا جزئياً وهو مفتوح العينين في الزنزانة المظلمة، أما والسجين مغطى الرأس بالكيس فهو يعاني من آلم ضياع حدود "المقاطعة" الشخصية وإمكانية السجان على اختراق حدود هذه "المقاطعة" وضياع حرمانها. ففي الحالة الطبيعية يساعد البصر على تعيين حدود الجسد وحدود الذات، وتساعد اليدان على درء المخاطر التي تستهدف اختراق هذه الحدود، ولكن عصب العينين "أو الكيس" وتقييد اليدين "وبشكل خاص وراء الظهر" يعني فقدان القدرة على تعيين هذه الحدود والحفاظ عليها وحمايتها، وهذه تشكل عودة إلى الحالة الطفيلية المبكرة التي تتسم بتداخل حدود الذات مع حدود العالم المحيط بها، وعدم ارتسام هذه الحدود بصورة حادة وقاطعة، ولكنها الآن عودة مشتعلة بالقلق والألم والخوف بسبب العجز المطلق والاعتماد السلبي المستسلم على سجان هو في كل الأحوال جلاد مهدد، وليس رمزاً أمومياً حالياً ومسانداً في وضع الاعتماد الطفلي الطبيعي. تزداد احتمالات وسرعة تطويع وانهيار إرادة الأسير أمام جلاده كلما أسرع الأخير وأفلح في "استباحة" حدود "مقاطعة" الأول الجسدية والذاتية، وللبصر دور حاسم في رسم "المكان الذاتي" أو"الحقوق الذات في المكان" وهي أبعاد تتجاوز حدود الجسد إلى تأسيس فضاء شخصي تؤدي فيها الذات أفعالها بصورة تخلو من التوتر والقلق، وبتعطيل حاسة الأبصار وتقييد الأيدي يتم تحجيم المكان الذاتي ليتطابق مع الأبعاد العضوية للجسد تمهيداً لسلب حق الذات في المكان ومصادرته. ثم لتصل هذه المصادرة أقصى مستوياتها وأقساها حين تنزوي الذات وفضاؤها مرعوبة داخل قلعة الجسد التي هدم الجلاد أسوارها. من ناحية أخرى فإن عصب العينين أو إدخال الرأس في كيس مغلق "تعطيل حاسة البصر" يربك "الإحساس الذاتي بالزمن" ويعطله لاحقاً، وذلك بشقيه الفيزيائي والنفسي من خلال تعطيل الإحساس بحركة النور والظلام وتتابع الليل والنهار، حيث يبقى

الأسير في ظلام دامس دائم. ويتضاعف هذا الأمر إذا عمد الجلاد إلى العزل التام للأسير أو قلب إيقاعه وساعته البيولوجية. ومن خلال حرمانه من النوم ليلاً بالأصوات المزعجة والموسيقى الصاخبة المستمرة، وهو ما حصل فعلاً مع الأسرى العراقيين على أيدي الجنود الأميركان، حيث حولوا ليل الأسرى إلى نهار، وبالعكس "حسب مسؤولين عسكريين في البنتاغون (25) سجيناً في "أبو غريب" قد عُزلوا في زنزانات مظلمة لأكثر من ثلاثين يوماً، كما أن كثيرين منهم قد حرموا من النوم بسبب الموسيقى الصاخبة..إلخ".

أضاف السجان الأميركي طريقة أخرى مدمرة للتعجيل بانهيار ذات الأسير العراقي وتحطيم قدرته على المقاومة وتطويع "استباحة" كاملة لحدود جسد وذات الأسير بصورة كاملة وتسبب نكوصاً طفلياً شديداً في سلوكه. ولو لاحظنا الأوضاع التي يتخذها الأسير العاري لوجدنا الوضع الطاغي هو الذي يشابه وضع الجنين في الرحم الأمومي، حيث نجده منطوياً على ذاته ورأسه بين ركبتيه، وساقاه مضمومتان، وذراعاه ملتفتان حول ساقيه في محاولة مستميتة لستر أعضائه التناسلية. ولكن الجلاد لا يسمح له عادة أثناء الاستجواب أو جلسات التعذيب بهذا الوضع الذي يستره نسبياً، بل يجبره على الوقوف ويربط يديه إلى الخلف أو قضبان الزنزانة "لاحظ صور الأسرى العراة التي نشرتها وسائل الإعلام المختلفة" حيث تنكشف أعضاؤه التناسلية وعجزه ولعل بلاغة تعبير الصورة التي تداولتها وسائل الإعلام للجندية الأميركية وهي تضع سيكارتها مائلة في فمها، وتمثل حركة إطلاق النار على الاعضاء التناسلية للأسرى العراة ضاحكة ومسرورة تُغني عن كل وصف.. فببساطة المطلوب هو "إخصاء" الأسير العراقي من خلال إطلاق النار الرمزي على ذكورته. إنه عريان معصوب العينين وموثوق اليدين، وتحت رحمة آسره. وتشتعل لدى الأسير مخاوف شديدة من اختراق السجان لحدود جسده وبشكل خاص جنسياً "وهو ما كان يهدد به الأميركيون الأسرى العراقيين ونفذوه فعلاً" بصورة فعلية بعد أن حقق الجلاد نوعاً من "الاغتصاب البصري" القسري إذا جاز التعبير من خلال الانكشاف والتفحص والمعاينة والفرجة.

ومع مزاوجة العري بالأساليب العنيفة والمخيفة "الضرب بكافة أشكاله، استخدام الكلاب البوليسية..إلخ". فإن ذات الأسير تصبح بلا حول ولا ستر يدرأ عنها عدوان الجلاد، إنها عارية مثل الجسد المهان، العاري، فتنسحب منزوية بعيداً في أعماق الجسد المنسحب بدوره في أقصى نقطة من "مقاطعتها" المستباحة.. وهذا الانسحاب النكوصي الشديد قد يوصل الفرد إلى حالة انتقالية تسيطر عليها الأفكار والمشاعر الاضطهادية، المكتومة المؤرقة التي قد تتصاعد لتصل مرحلة مؤلمة من التصدع العقلي "الذهاني" تلك الحالات المرعبة قد يحاول الأسير في أغلب الأحوال منها عن طريق "التعاون" و"الاعتراف" حتى لو كان مفبركاً أحياناً، والموقف الآخير يوفر خلاصاً وقتياً لالتقاط الأنفاس النفسية يعود بعدها الجلاد للتعامل مع الأسير بصورة أقسى وأشد. (عملت في نهاية التسعينيات طبيباً نفسياً في هيئة رعاية معاقي الحرب في العراق وكان من بين المعاقين أعداد من فاقدي البصر بسبب الشظايا أو الحروق

خلال المعارك.. وكنت أسأل بعضهم عن أكثر الأشياء التي تثير قلقه ومخاوفه بعد أن فقد البصر فيجيبون بأنهم عندما كانوا يتعرون في الحمام، حيث يخافون أن يكون هناك من يتلصص عليهم من الشباك.. أحدهم قال بأنه كان دائماً يعتقد أن من المحتمل أن شخصاً تسلل قبله وانزوى خلف باب الحمام ليتفرج عليه..) بالنسبة للأسير العاري هناك دائماً من يتلصص ومن هو مصدر تهديد جنسي خطير، لأنه معصوب العينين موثوق اليدين ومستباح.

ينبغي أن لا يستهين أحد بطريقة التعرية هذه، إنها أشد الطرق تدميراً للأسير العراقي المشبع بثقافة شرقية / عربية وإسلامية لها موقف واضح وحازم راسخ في اللاشعور الفردي والجمعي من موضوعة (العورة) و(العري). وهي موضوعة تختلف جذرياً عن نظرة الفرد الغربي عموماً والأميركي خصوصاً إليها. ففي الوقت الذي تحررت فيه نظرة الأميركي إلى السلوك الجنسي عموماً من الثوابت الدينية والاجتماعية بدرجة كبيرة ليصبح موضوع قرار فردي وحرية اختيار (إقرار حقوق الشاذين جنسياً، المعشرة قبل الزواج لسنوات، طرح ثقافة البورنوغرافي في الشارع وبصورة علنية، احتقار البكارة، زواج عائلة الجنس الواحد، فضائيات الشذوذ على مدار اليوم "السحاق واللواطة.. إلخ" نجد، على العكس من ذلك، أن نظرة العربي والعراقي إلى السلوك الجنسي محكومة بضوابط وأطر دينية واجتماعية حاسمة جداً. وبغض النظر عن كون هذا السلوك واقعاً تحت قبضة القمع أو الكبت وما ينتج عنه من سلوك متضاد فإن من المؤكد أن للفرد العراقي المسمم عموماً موقفاً مختلفاً من موضوعة "العورة" و "العري" وسلوكيات "الحياة" و"الستر" المرتبطة بهما. في أشد أيام الصيف العراقي اللاهب حرارة نادراً ما يتخفف الرجل العراقي (وحال المرأة العراقية أشد) من ملابسه بصورة كاملة أو شبه كاملة حتى في غرفة نومه. وفي الوقت الذي تتحمل فيه العراقية غليان حرارة الجسد بسبب سمك ملابسها وربطة رأسها مثلاً وهي تؤدي واجبها ووظيفتها في العمل أو السوق نجد أن المرأة الأميركية تحاول وتقوم فعلاً بالتخفف من أكثر ما يمكن من ملابسها وبشكل خاص في وقت الحر الشديد.. وفي الوقت الذي تشكل فيه مشاهد الجنس جزءاً أساسياً من أي فلم سينمائي أميركي لم يشهد أي فيلم عراقي قبلة بسيطة بين رجلة وامراة طوال تاريخ السينما العراقية الطويل.. نحن هنا لا نفصل مجتمعاً على آخر.. فلكل مجتمع ثوابته ومتغيراته وأولوياته، ولكن ما نعرفه جازمين هو أن هناك فرقاً يصل إلى حدّ التناقض الصارخ بين نظرة العراقي ونظرة الأميركي إلى الأمور المتعلقة بالسلوك الجنسي.

وأنت تتصفح غرف الدردشة في شبكة الإنترنت، وتحديداً الغرف الأميركية، تستمع أو تقرأ حواراً بين جندي أميركي وبين زوجته أو صديقته ربما ستعثر على جزء مما يدور في العقل الأميركي السائد، أو ربما ستصادفك مجموعة من الصور يرسلها جندي أميركي إلى صديقته أو زوجته، وبالتأكيد أن هذه الصور لن تصل إلى الصحافة، فصادف أنني قد عثرت على مجموعة من هذه الصور كانت هذه الصور غريبة ومدهشة إلا أنك ستدهش أكثر عندما تستمع لتعليق إحدى الزوجات على الصورة التي بعثها إليها زوجها: "نعم، ولا شك في أنك

تحتاج إلى الجنس وأنت بعيد عني، أرجو أن تكون قد استمتعت في تلك الليلة!!" (12).. كما أن آخر إحصائية تشير إلى أن موقع الجنس المحرم قد بلغت 75٪ في مقابل 25٪ من مواقع الجنس الطبيعي في أميركا.. وما ردة فعل والدة المجندة الأميركية التي اشتركت بجرائم معتقل "أبو غريب" إلا دليل على تدني مستويات القيم التي تنهض عليه الحياة في أميركا.. فوالدة المجندة الأميركية لم تجد في سلوك ابنتها ما يدعو للغرابة!!!.

يكفينا القول إن الجدول التشخيصي والإحصائي الأميركي للأمراض النفسية –DMS– والذي تعتمده الجمعية النفسية الأميركية في تشخيص الأمراض النفسية يعتبر الجنسية المثلية "اللواط والسحاق" تنوعاً واختلافاً وليس مرضاً.. ولكن بعد ظهور مرض "الإيدز – AIDS" المرعب بدأ التفكير جدّياً في اعتبارها مرضاً!!!.

ما يمكننا قوله بثقة هو أن هذه الطريقة التي اتبعتها الجنود الأميركان جاءت بعد دراسة عميقة لشخصية الأسير العراقي المسلم وتحديد "أيسر" وأسرع المداخل التي تنفذ إلى عالمه (السرّي) لغرض تحطيمه وتدمير إرادته ودفعه إلى التعاون والاعتراف. فلكل رجل نقطة انهيار حسب معطيات علم النفس، ولكل مجتمع، إذا وسعنا النظرة، نقطة حساسة سرية يسبب اقتحامها هزّ وجدان وأفكار وكيان المجتمع بأكمله. ويشكل "العِرض" بصورة عامة و (العورة) و"العري" بصورة خاصة جزءاً حاسماً من "الذات السرّية" للمواطن العراقي، تلك الذات التي هي، على العكس من "الذات العلنية المكشوفة" يحرص الفرد على إضمارها وسترها وعدم انكشافها بخلاف الفرد الأميركي الذي تكاد تتطابق ذاته العلنية مع ذاته السرية في كثير من جوانبها. لقد أدرك الجلاّد الأميركي أن الكشف القسري لأستار الذات السرية العراقية يعني "اغتصابها" الفعلي لا الرمزي فحسب. إن وقوف الأسير عرياناً معصوب العينين وموثوق اليدين "بشكل خاص إلى الخلف" أمام آسره يشكل صدمة هائلة ستجدد سلوك الأسير اللّاحق حتى بعد إطلاق سراحه، ولكون الأسير "أعمى" لا يرى وجه جلاّده يزرع في وجدانه أن أي جندي أميركي يمكن أن يكون جلاّده وسيخلق التحسّب والقلق والخوف "بفعل التعميم – generalization" حتى من رموز هذا الجندي وما يرتبط به من تعبيرات وتمثّلات حتى تصبح القاعدة التي تحكم سلوكه هي :

ابتعد عن الجندي الأميركي وغنّي له حسب المثل الشعبي المعروف.

ولأن الأجهزة الاستخبارية الأميركية والإدارتين السياسية والعسكرية الأمريكيتين قد أصيبت بإحراج هائل عندما لم يتم العثور على أسلحة الدمار الشامل، المبرر الرئيسي لشن الحرب على العراق، الأمر الذي أوصلها إلى مرحلة نفاد الصبر، وأوصلها إلى اتباع الطريقة الأكثر تدميراً، حسب تصوّرها وما استنتجته من دراسات مكاتبها المتخصصة في بداية التسعينات قامت لجان من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الـ(CIA) بدراسة روائح الشعوب، أي رائحة جسد المواطن الأفريقي والعربي.. إلخ، الهدف الظاهر علمي والنية

الشيطانية الباطنة هي تصميم ألغام ضد الأشخاص تنفجر حسب رائحة المواطن الفيتنامي الذي دمّر القوات الأميركية عن هذا الطريق بزرع الألغام في الغابات.. كما نظمت الوكالة طرقاً علمية للحصول على عيّنات من "بول" الرؤساء والمسؤولين الأجانب المهمين (13) لتحليلها وتحديد المواد الكيماوية التي يفرزها الجسم في حالة القلق والخوف في المفاوضات، ولتحديد حالتهم الصحّية "كما حصل مع الرئيس السوري الراحل "حافظ الأسد". العلم والبحث في خدمة العنف والقتل والموت".

.. تلك المكاتب المتخصصة التي أيقنت أن "المنجنيق" الكفيل بتحطيم قلعة الذات السرية المحصنة للفرد العراقي هو الاغتصاب الجنسي الفعلي كإجراء يشكل القمّة في سلم خطوات الإذلال الجنسي وامتهان الكرامة وتحطيم إرادة الأسير بصورة نهائية كما يتصور الجلاّد. في أمريكا التي تُغتصب فيها (100000) امرأة تقريباً سنوياً، وتتراوح أعمار الضحايا بين (18 شهراً – 82 عاماً) والتي تشير فيها (72) امرأة من كل (100000) امرأة بأنهن قد تعرضن للاغتصاب في حياتهن، والتي تبلغ فيها نسبة اغتصاب الذكور (1-5٪) من مجموع حالات الاغتصاب، هذه الدولة يبلغ فيها عدد من يبلغون الجهات القضائية بالواقعة (5) من كل (10) حالات، فكيف بمجتمع مثل المجتمع العراقي؟. مجتمع ما زالت (الذات السرية) لأفراده بعيدة كثيراً عن ذاته العلنية؟ مجتمع يعبر العامة من أفراده عمّن يُعتدى عليه جنسياً بأنه قد "كُسرت عينه"، وانظر هنا، ومن جديد، إلى الارتباط والتعبير الرمزي عن الصلة بين الإذلال الجنسي وبين حاسة البصر، أي أن من يفقد كرامته الجنسية هو كمن فقد حاسة البصر، فهو لن يستطيع رفع بصره عن الأرض، وهي الطريقة التي من المفترض أن الأنثى العراقية تمشي بها حياءً وخفراً، أي أن الاغتصاب الجنسي حسب هذه "التورية" يعني تأنيث الإرادة. في مثل هذا المجتمع، وكما يتوقع المختصون والجلادون على حد سواء، يكون إعلان الأسير العراقي عن تعرّضه للإذلال الجنسي استثنائياً وضمن حالات شاذة وليس قاعدة.. سوف يكتم ما تعرض له ويعيش حالة صراع دام مستمر مع جرح لا يندمل في نسيج ذاته السرّية، ولن يستطيع ترميم ثغرة هائلة جداً في جدارها المحطم، والأهم هو أنّه سيربط شرطياً، في المستقبل، بين صورة العمل الوطني الغيور وبين الانتهاك الجنسي وصورة الجلاد الأميركي. والأخير لا يخطط لتحطيم من هم بين يديه فحسب، بل لخلق "إشارة" شرطية "ذهنية" تتأسس مرحلتها الأولى على (التعرية) التي توجه إلى من يقاوم، فيشتغل في ذهنه احتمال مؤكد في أن الخطوة المقبلة هي الاغتصاب.

8- استنتاج مؤكد:

سواء كانت الإدارات الأميركية العليا، السياسية والعسكرية، في واشنطن أو في العراق، عارفة بما يجري من تعذيب وإذلال وامتهان لكرامة الأسرى العراقيين أم لا، فأن ما هو ثابت أن الوقائع كلها تشير إلى مسألتين مهمتين هما:

1- أن أساليب التعامل اللاإنسانية المدمرة قد خطط لها بعناية، وجاءت بعد دراسة، وأنها جزء من منهج، ويكفينا القول، إضافة إلى ما سبق، أن أحد رجال الدين العراقيين قد أطلق صرخة مريرة من خلال قناة "الجزيرة" الفضائية، وفي أثناء أحداث "الفلوجة"، وقال: إن الأميركان يعتقلون شيوخنا "رجال الدين" ويفعلون بهم الأفاعيل، ويغتصبونهم، ثم يعيدونهم إلينا. وما دام الأمر يشمل حتى رجال الدين فإن الأمر مخطط واسع ومدروس.

2- إن أدوات التنفيذ "الجنود الأميركان" قد أدّوا أدوارهم بصورة "باهرة" مثل الممثل المحترف الذي يتقمص دوره بدقّة، ويقول عادة إنّه أضاف إلى الدور (روحه). إنه الممثل السادي الذي يكلف بتنفيذ مهمة من مهمات العنف والعدوان. وليس أدلّ على ذلك من مراجعة الصور التي نشرت عن تعذيب الأسرى العراقيين، حيث تلاحظ ابتسامات الجنود الأميركيين العريضة وعلامات السعادة والارتياح على وجوههم، وهم يلتقطون الصور "التذكارية" خلف وفوق وأمام الأجساد العراقية الكريمة العارية المكدّسة. هناك صورة لجندي أميركي يرفع إصبعه إشارة للنجاح وإتمام المهمة أمام جثة شهيد عراقي سقط ميتاً بسبب التعذيب، وهناك صورة الضابط الذي يتبول على جسد شريف لمعتقل عراقي في البصرة. والملاحظة الأكثر أهمية هنا هي أن الجنود الأميركان الذين عذبوا المعتقلين العراقيين كانوا يرسلون هذه الصور التذكارية التي يلتقطونها خلف أجساد الأسرى العارية المدّسة إلى أهلهم وذويهم وأصدقائهم للفرجة والمتعة، الأمر الذي يكشف بعداً خطيراً يتمثل في الافتقاد الكلي للشعور بالذنب أولاً، والتشارك في هذا النقص النفسي البنيوي بين الجندي وشعبه ثانياً، والمتعة والزهو المستقى من أداء هذا "الواجب" السادي ثالثاً.

9- هل أدى الجنود الأميركيون واجباً:

هناك الكثير من الدلائل والقرائن التاريخية والعملية التي تشير إلى أن الجندي الأميركي يشعر بأنه قد أدّى "واجباً" تجاه المعتقلين العراقيين. فالقادة العسكريين الأميركيين نظروا إلى ما قام به جنودهم بعد مجزرة "ماي لاي" الشهيرة ضد الشعب الفيتنامي على أنه "واجب" قام به "جنود المسيح".

في ثلاثينيات القرن التاسع عشر نقل قانون "أندرو جاكسون" كل الهنود الحمر من الأراضي الواقعة شرق نهر المسيسبي، وكان جاكسون شديد التأثر لكرمه: "قمت بواجبي تجاه إخواني الهنود الحمر.. وان ظهر أي خلل في تحقيق نواياي الطيبة فلن يعزى إلي بل إلى قلة إحساسهم بالواجب تجاه ذواتهم.. إننا لا نضمن فقط لأولاد الغابة هؤلاء فرصة لتحسين ظروفهم في أرض مجهولة كما فعل آباؤنا، بل إننا ندفع أيضاً مصاريف انتقالهم.. إنه فعل ينم عن مشاعر ودّية سيعبر عنها الآلاف من شعبنا لو سنحت الفرصة لهم.. وبعد سنوات ثلاث ساق الجيش الأميركي بأسنة الحراب (17000) من هؤلاء الهنود إلى (أوكلاهوما) على طريق رسمت القبور علاماتها، وعرفت لاحقاً بـ"درب الدموع" ويحتمل أن نصف ذلك العدد قد

استطاع البقاء على قيد الحياة "بعد السياسة الكريمة المتنورة" التي طبقتها الولايات المتحدة عليهم، كما قال وزير الحربية بما اعتدناه من مديح للذات لقاء الفظائع المنكرة.."(14)

لقد كان الجنود الأميركيون يشعرون بأنهم يؤدون (واجباً معبراً عن دوافعهم ورسالة أمتهم الباطنة ولذلك لاحظنا هذا السعي الحماسي والمسرّ نحو التوثيق والتذكارات، وتثبيت القدم المنتصرة على جسد الضحية. والقيادات السياسية والعسكرية الأميركية العليا تشارك جنودها في هذا الشعور " الشعور بأداء واجب لا ينتج عنه شعور بالإثم أو شعور "طبيعي " بالخطيئة كناتج عرضي قدري ومفروض - السفك الصوفي للدم كما يقول "وليم جيمس " .. ".. ويثبت ذلك من خلال إعلان الصليب الأحمر الدولي ووزير حقوق الإنسان العراقي المستقيل بأنه قد نبّه السيد "بريمر" مراراً إلى هذه الفظائع التي تقترف في السجون العراقية، ولم يحرك ساكناً، كما أن الأميركان أنفسهم قالوا أنّ الجنرال "سانشيز " قائد القوات الأميركية في العراق كان يعلم وحضر بعض جلسات "الاستجواب " وأنّ "تكتيكات " الاستجواب الجديدة كانت قد عرضت على أعلى المستويات في وزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات، والأمر الآخر الذي يؤكد الاستعداد النفسي لأداء الواجب المعروج بالدم، هو أن الرئيس "بوش " رفض الاعتذار إلى لشعب العراقي في البداية، موضحاً بأن من قاموا بذلك قلّة لا تمثّل الشعب الأميركي ورسالته في العراق.. وحين قدم الاعتذار قدّمه إلى الملك الأردني الشاب "عبد الله " وكأنه ولي أمر العراقيين، وجاء اعتذاره مقابلاً لاعتذار الملك عن أفعال الإرهابيين الأردنيين ضد بعض الدبلوماسيين الأميركيين.. وهذا جوهر السلوك البراجماتي الذي لا يقدم شيئاً دون مقابل أو فائدة عملية.. والدليل الآخر على أداء الواجب هو القيادة العسكرية الأميركية العليا، التي هي المعني الأول بكل تبعات عمليات التعذيب قدّمت اعتذاراً رسمياً وعلنياً للشعب العراقي، لكنها في الواقع العملي أرسلت إشارات واضحة وصريحة للإصرار على أداء "الواجب " وتوقع بعض "الإفرازات" السلبية التي تنتج عن الحماسة في أداء "الرسالة" تجاه الشعب العراقي. ففي الجلسات الكونغرس وفي المؤتمرات الصحفية كان المسؤولون الأميركيون يؤكدون على ضرورة أن لا يؤثر ما حصل من تدمير للأسرى العراقيين و"العراقيات " وإذلال كرامتهم على "واجب " القوات الأميركية. ببساطة على المواطن العراقي، أن "يتعلم " على المنهجية الأميركي البراجماتية في فهم حاجة الخير للشر والتي عبّر عنها البراجماتي "جورج كينان " إمام مثقفي زمن "كندي " حين قال: -" ... كم سيكون الأمر مريحاً إنّ نحن تأملنا في "تناقض الفضيلة الظاهري " الذي كان فكرته المركزية، "إنه صبغة الخطيئة" التي لا مفر منها " في كل الإنجازات التاريخية". إنها الحاجة " لاختيار الشر عن وعي، في سبيل الخير". إنها عقيدة مريحة لمن يعدّون العدة لـ"مواجهة مسؤوليات السلطة" ويعلق "تشومسكي " على ذلك بقوله: وبلغة واضحة للمضي على درب الجريمة..". (15)

لم يحصل الأسرى العراقيون المذلون المهانون على أي إجراء أو فعل يداوي جراحات كرامتهم وخراب ذواتهم سوى اللعب بالألفاظ والرغي الديموقراطي. وهو أمر لم يعتد عليه

العراقي نفسياً في التعامل مع الأمور الحاسمة التي تتعلق بعرضه وشرفه، لكنه تدريب ديموقراطي!!. وتأتي أقوى الإشارات العملية العدوانية التي تنسف الأسف "الديموقراطي " الشفهي من خلال أول جلسة محاكمة لجندي أميركي متهم بتعذيب الأسرى العراقيين. لقد وجهت إليه أكثر من خمس تهم من أهمها "الاغتصاب " وهي جريمة في أميركا نفسها قد تصل، تحت ظروف معينة إلى الإعدام في بعض الولايات أو السجن المؤبد، لكن الجندي حكم بالسجن لمدة سنة واحدة، لاحقاً من حق القائد العسكري تخفيض الحكم إلى (6) أشهر والسبب هو ما معناه "الإفراط في أداء الواجب " أي بمعنى آخر أن الحماسة المفرطة لدى الجندي لإنجاز واجبه "الرسولي " هي التي أوقعته في مثل هذه "المطبّات " كانت المحكمة مغلقة ولم يحضرها أي طرف محايد، ولم يسمح للصحفيين بحضورها، وفوق ذلك لم يحضر أحد من الطرف المعتدى عليه/ المدّعى وهو الجانب العراقي. وصدق الشاعر العربي:

"من نفسه وبنفسه ولنفسه – لا حاكماً فرداً ولا مستأثراً"..

ثم تأتي صفعة أخرى للحق المزهوق والكرامة المهانة من خلال طلب الولايات المتحدة عدم شمول الجنود الأميركان بالمحاسبة من قبل المحكمة الجنائية الدولية على جرائم الحرب وتعذيب الأسرى التي يقترفونها. ومن حديد فإن هذا الأمر ليس موقف ادارة طارئ بل هو منهج وسلوك ثابت.. "فالمسؤول الأميركيون لا يكتفون بتصنيف الجرائم المفزعة والبشعة، ومنها جرائم معتقل "أبو غريب " في خانة "مخالفات " للتعليمات الإدارية الحكومية الرسمية، ولكن في كثير من الحالات الصارخة يتحرك المسؤولون السياسيون أنفسهم عبر تصريحاتهم ومواقفهم في اتجاه يبيح الاعتقاد بأنهم لا يعلمون بما يجري فقط، بل يشجعون عليه. ناهيك عن السياسة الرسمية كالامتناع عن المشاركة في اتفاقيات حقوق الإنسان وحقوق الطفل ومكافحة التعذيب وصولاً إلى "خوض معركة" ضد تشكيل المحكمة الجنائية الدولية للمحاسبة على الجرائم الحربية والجرائم ضد الإنسانية.. فكل ذلك يعطي مرتكب الجريمة الأميركي الجنسية أو المحمي أميركياً الإحساس بأن باستطاعته أن يرتكب ما شاء من الجرائم وهو مطمئن إلى وجود سياسات تحميه.." (16).

10- عودة إلى (ساديّة) الصفوة السياسية الأميركية:

الرئيس الأميركي الأسبق "كارتر" يقوم الآن بمهام ديموقراطية، وأخرى للدفاع عن حقوق الإنسان في أنحاء متفرقة من العالم. هذا الرئيس كان من المشبعين بالعدوان ضد البشر واتخذ اخس وأقذر القرارات عدوانية عندما كان على سدّة الرئاسة، مثلاً: عند قيام الجنرال "تشون " دكتاتور كوريا الجنوبية بسحق الحركة الديموقراطية في عام 1980 ونفذ جنود المظلات مجزرة رهيبة لألفين من المدنيين بمن فيهم الأطفال والفتيات والعجائز طلب الجنرال إطلاق (20000) جندي ممن هم تحت القيادة الأميركية في كوريا للانضمام إلى القوات "العاصفة" لذبح الديموقراطيين وافق "كارتر" فوراً ثم وافق على قرض بمقدار (600) مليون

دولار للديكتاتور والكوريون بين مصدق وبكذب. أما بخصوص الحقيقة القائلة بأن الجنرال "تشون " كان قد استولى على السلطة بالقوة فقد قال "كارتر" بوقاحة: "مع أننا نفضل الديموقراطية إلا أننا نرى أن الكوريين ليسوا جاهزين لها، حسب رأيهم هم، وأنا لا أعرف كيف أشرح الأمر على نحو أفضل.." (17). و"كارتر" الأخلاقي هو الذي أمد الجيش الإندونيسي بالسلاح لإنجاز حملات الإبادة الجماعية لسكان "تيمور" الشرقية في عام 1978!! كما قلنا سابقا.

السيدة "مادلين أولبرايت " وزيرة خارجية الولايات المتحدة سابقا وصاحبة الرقصة الشهيرة مساندة لـ"إسرائيل " وهو حقها كيهودية، تلك الرقصة التي تناقلها كاميرات الإعلام العالمي، هذه السيدة أقامت الدنيا أيضا ولم تقعدها حول مشكلات حقوق الإنسان والدعوة إلى بناء أنظمة ديموقراطية. ولكن عندما سألها أحد الصحفيين في مقر الأمم المتحدة: لقد مات من العراقيين حتى الآن، آنذاك، أكثر من نصف مليون طفل بسبب الحصار، ما الذي سيحصل للعشرين مليون عراقي إذا استمر دعمهم للنظام القائم هناك؟

أجابت السيدة "أولبرايت " ببرود: نقتلهم كلهم!!!

وفي آخر لقاء مع السيدة "أولبرايت " عرضته في حزيران الماضي قناة "أبو ظبي " الفضائية كانت تتحدث بمرارة وحزن عن هدر حقوق المعتقلين العراقيين في أبي غريب وكيف أن الرئيس "بوش " قد استعجل في اتخاذ قرار الحرب على العراق!!!.

11- عود على بدء من الخاسر في لعبة الاعتذار الديمقراطية؟

كما قلنا في البداية فإن المواطن العراقي يواجه، ولأول مرة في تاريخه المديد، حالة تتعلق بمناقشة وقائع الاعتداء على عرضه وعلى شرفه الشخصي بصورة "ديموقراطية" وعلنية، ولأول مرة يعلن أمام العالم أن المواطن العراقي والمواطنة العراقية من الأسرى والأسيرات في المعتقلات الأميركية، يعتدى على أعراضهم، ثم يخرجون وهم يحملون لافتات الاستنكار والشجب. لا أستطيع كعراقي مختص بأمور الطب النفسي تحديد التأثيرات الاجتماعية والنفسية لمثل هذه الفاجعة على المجتمع العراقي، وفي غمرة الانفعال بلهيبها وتفاعلاتها. ولكني أستطيع الجزم بأن الخاسر الأوحد في لعبة مناقشة الفاجعة علنيا لمعرفة أبعادها و"الاعتذار" عنها ومحاسبة من قاموا بها في أنحاء العالم هو المواطن العراقي. بطبيعة الحال أنا لا أعود إلى التستر على الجريمة وعلى من قاموا بها، لكنني أرى أن الأمر قد دبر في ليل شيطاني ماكر يتم من خلاله "تداول " الشرف العراقي وكرامة العراقية بصورة علنية وعلى رؤوس الأشهاد، الأمر الذي يعني تمزيق جوانب من "الذات السرية" التي كانت حصينة إلى درجة كبيرة جدا عبر العصور السابقة. لقد حاول أحد المسؤولين المقارنة بين وضع الرأس في الكيس وبين قطع الرأس نفسه في إشارة إلى قطع رأس المواطن الأميركي "نيكولاس بيرغ "

وأنا اعتقد أن هذا التدبير الشيطاني يوصل إلى ذات النتيجة ما دام رأس "الذات السرية" للأسير العراقي سيبقى ملفوفاً بالكيس المظلم الأسود مدى الحياة.

12- إقرأ هذه البشاعات المضافة:

حسب مجلة "النيوزويك" الأميركية هناك سجناء اغتصبوا باستخدام عصي ليلية مضاءة بالفوسفور، سجناء تداعب أيادي السجانات "أعضاءهم الجنسية"، سجناء يقدم لهم الطعام داخل المراحيض "مع الماء الفذر"، سجناء يتم امتطاؤهم ؟ أو سحبهم برباط؟ مثل الكلاب، وسجناء يجبرون على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر خلافا لشريعتهم الإسلامية.

13- وإقرأ هذه الحادثة الإنسانية:

قبل سنتين نشرت صحيفة "العرب" اللندنية خبراً يقول إن قاضياً أميركياً حكم على زوجين بغرامة قدرها (500) دولار لأنهما تركا "القطة" بمفردها جائعة في البيت لمدة (6) ساعات تدور وحيدة حائرة. في الفردوس البراجماتي الأميركي يتمتع الكلب بكل حقوق الإنسان عدا حق الانتخاب والترشيح. ومن الصعب جداً فهم هذا التعلق بالكلاب والعطف المفرط عليها وتخصيص الأسواق الخاصة بطعامها ومستلزماتها دون النظر إلى سمة العدوان والعنف والسادية المتأصلة في أعماق الفرد الأميركي.

14- وهذا آخر استفتاء حول رأي الأميركيين في ما حصل في سجن "أبو غريب":

في استطلاع حديث قامت به الـ(ABC نيوز) و"الواشنطن بوست" حول رأي الأميركيين في ما حصل من فضائع لا إنسانية بحق المعتقلين العراقيين، أشار إلى أن (46٪) من الأميركيين يعتقدون أن إساءة المعاملة بدنياً التي تشبه التعذيب مقبولة أحياناً، وأن (35٪) يعتقدون بأن التعذيب مقبول في بعض الحالات.. ومن جديد هل فاجعة تعذيب المعتقلين العراقيين هي من فعل مجموعة صغيرة من الجنود الساديين فقط؟ وهل حصلت لأن مجموعة من الأطفال (Kids) قد تجاوزت حدود اللعبة؟.

هوامش:

(1)- جريدة الجمهورية العراقية – كانون الأول – 2002.

(2)- أغنية للمطرب العراقي "عبد الحسن بريسم" شاعت في أوساط الشعب بعد دخول القوات الأميركية.

(3)- هناك تفصيلات واسعة في مخطوطة كتابنا: (إنهم يقتلون الأطفال: التأثيرات النفسية للحرب على الأطفال العراقيين) معززة بالصور والرسومات.

(4)- تاريخ الفلسفة -ول ديورانت- ترجمة د. فتح الله محمد - مكتبة المعارف- بيروت- الطبعة الخامسة- 1985.

(5) و(6) و(9) و(10)- الفردوس الأرضي - د. عبد الوهاب المسيري - المؤسسة العربية للدراسات والنشر- 1979.

(7) و(8) و(14) و(15) و(17) - (سنة 501- الغزو المستمر) نعوم تشومسكي - ترجمة مي النبهان - دار المدى - الطبعة الثانية - 1999.

(11) مدخل علم النفس - لندا دافيدوف - ترجمة مجموعة من الاختصاصيين - الدار الدولية للنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة - 1983.

(12) و(16) جريدة المدى - العدد 121 - 2004/5/27.

(13) War on the mind – Peter Watson.

المؤلف:

الدكتور حسين سرمك حسن

مواليد 1956 - الديوانية - العراق.

بكالوريوس في الطب وجراحة عامة - بغداد.

ماجستير في الطب النفسي - القاهرة.

عضو اتحاد الأدباء العراقيين.

عضو جمعية الطب النفسي العراقية.

عضو نقابة الأطباء العراقيين.

صدر له:

1-موضوعات في التدريب - بغداد.

2-لمحات في الفكر - بغداد.

3- المرشد في مرض الصرع - ترجمة - بغداد.

4- الحصار (مجموعة قصصية) - القاهرة.

5-المشكلات النفسية لأسرى الحرب وعائلاتهم - القاهرة.

6- مملكة الحياة السوداء (الجزء الأول).

7-التحليل النفسي لملحمة كلكامش.

8- التحليل النفسي للأمثال الشعبية العراقية.

9- التحليل النفسي لرسائل بدر شاكر السياب.

10- قطار الشظايا الندية.

11- فؤاد التكرلي والجذر الأوديبي للموقف الوجودي.
12- أمراض الأشخاص المهمين جدا الـ VIP,s.
13- تحليل أسطورة الإله القتيل.
14-مخيرون بالشعور، مسيرون باللاشعور.
15- المرشد النفسي في رعاية المعاقين.

المخطوطات:

1-عقدة الإنقاذ وصورة المومس الفاضلة في الأدب العراقي.
2-أدب الحرب الكبير يكتب بعد الحرب (3أجزاء).
3-روايات عراقية في ميزان التحليل النفسي.
4-من أدب عصر المحنة.
5- عقدة المحارم في الأدب العراقي.
6-معالجة موضوعية ألف ليلة وليلة في الأدب العراقي.
7-الجريمة المباركة.
8-موسوعة تاريخ الطب (ترجمة).
9-القديس المعصوب.
10-ألغاز إبداعية.
11-معالجة موضوع الجنون في الأدب العراقي.
12- تحليل أسطورة الخليقة البابلية.
13- دراسات في الشعرية الجديدة.
14-دراسات في علم النفس العسكري.
15-توظيف الأسطورة في الأدب العراقي.
16- الأنثى السماوية.

EXPANDED PERSPECTIVES ON DEATH ANXIETY*

قلق الموت توسيع المفاهيم

محمد أحمد النابلسي جيمي بيشاي

J. A. Beshai, Ph. D. VA Medical Center, Pa. 17042

Mohamed A. Naboulsi, MD, PhD, Centre d'Etudes Psychiques et psycho-Somatique, Tripoli, Lebanon

• *The authors wish to thank Donald I. Templer, Ph.D., Alliant International University, Fresno, CA., Ahmed Abdel-Khalek, Ph.D., Kuwait University, Kuwait, and Otis Nash, PTSD Counselor, VAMC, Lebanon, Pa. for their constructive reading of the article.*

• *Correspondence should be addressed to J.A.Beshai, Ph.D., Out Patient Clinic, VAMC, Lebanon, Pa. 17042*

SUMMARY

Construct validity is the hallmark of Templer's Death Anxiety Scale (1970). TDAS generated a healthy stream of research of paramount importance in the US and all over the world. This paper contends that scores on the TDAS provide valuable scientific knowledge on group norms. To expand the concept of death anxiety it is necessary to supplement empir cal with qualitative research. Persons with the same scores may show qualitatively different fears of death, and vice versa. Total reliance on empirical scales may not disclose the depth of bipolar meaning in a "life-death anxiety".

TDAS is a mixture of fears, phobias and obsessions with thoughts of illness, cancer, heart disease, and wars. A bipolar "life-death anxiety" continuum requires a phenomenology to reach beyond the 15 items to the process of "experiencing" itself. TDAS addresses "thoughts" about death of others even though its items are cast in the first person singular. This provides group norms of a "cognitive-affective" construct, with limited generality cross-culturally. Means do not disclose fully meaningful comparisons between persons or cultures. Death Anxiety as an : existential anticipatory mode of "being-in-the-world" is embedded in a personal/genetic/cultural matrix that may vary individually and culturally.

HISTORICAL CONTEXT FOR TDAS

Empirical data about the "death" of others lack ontology to generate "meaning" to life and death. This ontology can be disclosed by a rigorous historical analysis of the context underlying research on death anxiety. This paper is a call to supplement the quantitative method of TDAS with a qualitative phenomenology such as that of Kelly's (1955), or adaptations thereof using personal accounts of veterans involved in actual or threatened death. Understanding the "lived world" comes via empirical knowledge together with methods of descriptive phenomenology. The first step in reviewing research on "death anxiety" is to situate it within its historical and social context in the early sixties in the United States. TDAS was designed durir_g4he cold war between the US and the Soviet Union. Kelly's two volumes (1955) attempted a road map for an "objectivist-subjectivist approach" to humanize Skinnerian empiricism. Kelly's bipolar corollary of "death-self" is a good example of a comprehensive human account of facing death. There were two major

sociological theories about the meaning of "death" in the sixties. One was "the gift of life exchange" model advocated by Parsons & Lidz (1967), and the other is the "denial of death" by Becker (1973). There was an awareness of a cold war with threats to life on college campuses across the United States.

Parsons & Lidz (1967), and Becker (1973) provide a comprehensive bipolar view of : Life-Death Anxiety. TDAS seems to be a unipolar measure of "personal death anxiety" in a linear pragmatic fashion. It generates group norms for cross-cultural comparisons. Shackelford (2992-2003) assessed the relation between TDAS and Kelly's Threat Index (TI) and found a low correlation of .23. Krieger et al. (1974) suggested that this low correlation stems from two different constructs with TDAS measuring "affective arousal and anxiety about death," and TI measuring "a person's understanding of death in relation to self". Rigdon et al (1974) maintains, "the TI may be viewed as a measure of more stable cognitive orientation regarding death than is TDAS." (p 255)

When Templer constructed TDAS there were good reasons for developing a unipolar scale. One of the 15 items of TDAS reads: "I shudder when I hear people talking about a World War III," may have reflected the fear of communism. Templer (1976) maintains that his approach is atheoretical, but he recognizes a twofactor theory of anxiety. Kenniston (1960) wrote about the uncommitted student rebellion against a technological society. Alienation and disenchantment with the world dominated the thinking of behavioral scientists in the sixties. The Vietnam War may have augmented fear of death among college students who wanted to avoid the draft. The theme of "Better red than dead" lead by Bertrand Russell and Jean Paul Sartre was a popular outcry among US college students. Sartre turned down the Nobel Prize in order to protest the western arsenal of nuclear weapons of mass destruction. Against this backdrop of alienation TDAS (1970) pioneered with an empirical scientific instrument to measure the fear of death. Psychometric validity and scientific rigor paved the way for a better understanding of death.

Templer (2004) identified the findings of his research on death anxiety as follows:

1. Highly religious persons tend to have lower scores than persons who are less religious. Strength of belief seems to be more important than religious practice.

2. There is TDAS resemblance of family members. The pattern of correlations suggests that level of death anxiety is determined in part by family influences.
3. Higher TDAS scores are associated with scores in the more pathological direction on scales of personality, adjustment, and psychopathology.
4. Lower scores on the TDAS are associated with scores in the direction of better adjustment on existential variables.
5. There is essentially no relationship between TDAS score and age from the teens through the middle age. There is a tendency for elderly persons to have lower scores.
6. Females tend to have higher TDAS scores than males.
7. Most factor analyses have yielded from 4 to 5 factors.
8. TDAS studies in different parts of the world have yielded rather similar findings with respect to gender, age, personality correlates, religion, factor structure, and family resemblance.
9. Most published studies that have attempted to reduce TDAS scores through behavioral and didactic means have not been successful. It should be borne in mind, however, that these studies have used group administration and low subjects not selected on the basis of high death anxiety.

Within such a historical context these conclusions provide a step toward an even wider perspective of death anxiety, which combines scales and factors with core personal constructs and biography.

CROSS CULTURAL COMPARISONS IN DEATH ANXIETY

TDAS was translated and adapted to over 26 languages with results, similar in some ways and different in, others to those found in the United States. Yet the full impact of these similarities and differences is not articulated. What does it mean to conclude "lower scores on TDAS are associated with scores in the more pathological direction"? Does it mean that Death anxiety-is, associated only with pathology? Is this consistent with all or some religious beliefs? Is a uni-dimensional way of explaining outcome necessary or sufficient? There is no way of identifying the global construct of "death anxiety" without raising the question about what life means to every respondent. Current research assumes equivalence between the pragmatic meaning of death and the personal ontological meaning. In responding to an item about "my" death I am giving an opinion based on observation of the death of others as well as a belief system about the meaning of death. It is an attempt to equate meaning of the finality of death with one's fears about personal death.

As Gelven (1970) states: (1)"Being" cannot be analyzed as an entity, and hence any : analysis that makes use of categories -by which we describe entities- is in principle inadequate; (Z) it is meaningful none the less to inquire about the meaning of Being, since there is another type of inquiry - the ontological." (p.24) Gelven (1970) presents a primer to a reading of Heidegger who wrote a systematic western account for the meaning of "Death anxiety".

Thanks to TDAS we know more about "fears of death" now than we did in the sixties about the demographic, situational, and personality correlates of death anxiety. We are now aware of the role of religious beliefs, family, sex and age differences on TDAS. We know that lower scores on the TDAS are associated with scores in the direction of better adjustment on existential variable. But we do not know how to measure these existential variables in a concise group administration. We know that it can be done on an individual basis in descriptive personal accounts such as those suggested by Kelly (1955), or in psychotherapy as reported in Neimeyer & Eptig (1992). Empirical measurements without descriptive individual' profiles cannot fully grasp the meaning of "Death anxiety" in a manner that can be helpful in psychotherapy. Shackelford (2003) cites a theoretical and psychometric review of the Threat Index developed by Krieger, Eptig, and Leitner (1974), which may prove enormously helpful for expanding perspectives on death anxiety.

Kastenbaum & Costa (1977) show that the Death Anxiety scales developed are x conceptually impoverished in their definitions of death anxiety, and rely almost entirely on limited samples of college students for their generalizations about a much deeper construct of death anxiety. Do they imply that what is needed now is to supplement the nomothetic approach with an idiographic one?

Existentially, there is an intricate connection between the " empirical structure" of death anxiety and "religiosity" as an individual structure of being. Gelvin (1970) provides details on that crucial distinction. It is crucial in terms of Heidegger's ontology. Lester (1993) called for an empirical distinction between "my death and the death of the other". A subsequent attempt to investigate the existential dimension of religious motivation in death anxiety was attempted by Thorson,

Powell, Abdel Khalek & Beshai (1997). This is a "relatively bipolar" approach to religious life and the fear of death which combines TDAS and IRM or Internal Religious Motivation (Hoge, 1972) with the unexamined cross cultural "ontological" religious beliefs of Moslem and Christian students in the US and the Arab World. The study found significant differences between mean scores on death, anxiety relative to the ontology of religious beliefs in the two cultures. This offered an explanation of how these beliefs may have been influenced the reading of TDAS items on a cross-cultural basis.

Neimeyer and Eptig (1992) attempted to overcome the nomothetic approach by adopting Kelly's Personal Construct theory, which comes close to an idiographic approach to Death Anxiety because it allows the responder to use his own language in describing personal constructs. For one subject the core personal construct of fear of death may be "burial" or "cremation" while for another it may be achieving "martyrdom". Kelly (1955) came very close by addressing the bipolarity of life and death in deriving core constructs by asking each subject to give personal accounts of coming close to death. Using Kelly's (1955) theory allows for a bipolar measure of life and death, which can register "core personal constructs". Ontology governs one's identity. Autobiography and case history provide a verbal testimony to core personal constructs of the authors. Some therapists like Kubler-Ross (1969) search for personal constructs in therapy with dying patients to provide coherence for the complexity of one's anticipation and confrontation with death.

Most patients in therapy attempt to disclose personal constructs in their dialogues with the therapist. Kelly's method advocates asking questions like: "In what way is ; your fear of death similar to that of someone you knew, and different from fear of death in general?" Beshai (1966) used this approach to assess differences between delinquent and normal students. Any two traumatic events in war, for instance, may be similar but also different in some way. Kelly (1955) was an early advocate for a quasi-phenomenological method in his Personal Repertory Test.

Scales and numbers tend to objectify a living structure and may delimit "life's innermost possibility of being," to paraphrase Heidegger. Kelly's approach comes

close to this kind of disclosure of being, but it is basically empirical and quantitative. ; I think that it is applicable to PTSD veterans who came close to death in combat, and may be able to provide core constructs about how they experienced combat.

If one assumes that each item of the 15 items of TDAS is an individual construct . from one respondent who said: "I fear dying a painful death", how can such a response compare with a discursive personal account of the encounter with death? Death Anxiety in cross-cultural research calls for a personal or autobiographical account to throw light on the meaning of death in subjects of different religions. Scales lend themselves well to a variety of war and peace conditions, but the results may not generalize readily to the natural world without a personal account. TDAS is a well-constructed psychometric instrument, and arguably the most efficient of all scales on death anxiety, but it needs an anthropology or phenomenology. The experience of the death of others does not entail understanding one's anticipation of finality. This can be attained via descriptive personal constructs using Kelly's (1955) Repertory.test or-via biography.

Death anxiety for any responder is bound to evoke some significant *cognitive-affective components*, but it is by no means a full representation of one's awareness of the *advancing resoluteness of death*, or consciousness of "being-in-the-world". Empirical scales may disclose the former, but not necessarily the latter.

Said (1987) maintains that advanced scholarship by philosophers over the centuries may have rendered Western thought dominant over the thinking of oriental cultures Cross-cultural issues stem from this hegemony of western empirical science over the entire globe. TDAS stimulated research on death anxiety and its successful spread is a victory for empirical science. It impacts on how psychologists in other cultures think about death. The roots of western cultural science can be "deconstructed" by scientists in order to safeguard its objectivity. Empirical scientists may assume that , a construct like "death anxiety" carries the same meaning from one individual to another regardless of cultural context. Back translation (Brislin,1970) assumes that an English term has its exact equivalent in a dictionary of foreign terms as long as a group of translators agree that they are the same. Phenomenology would dispute that contention. Two scientific volumes on

death anxiety appeared independently in the US by Lonetto & Templer (1978) and in Egypt by Abdel Khalek (1987). They carry a compendium of empirical research with great depth of insight in their objective analysis of results, but there is a distinct difference between the two volumes in their undisclosed ontology. The impact of a secular Christianity on Templer's (1978) book is a stark contrast with Abdel Khalek's (1987) frequent `quotations from the Holy Quran. One can find the exact "literal" equivalent of "death anxiety" in the Arabic term: "Kalak el-mawt", but the two titles imply different histories. They stem from a different ontology of religious belief, and mean different things to respondents. A phenomenology of Personal Constructs may help to safeguard the individuality of personal constructs. Moghaddam, Taylor & Wright (1993) contend that it is impossible to achieve equality in translation empirically. Any translation of a scale is also a transformation, and this sets limits on the freedom of other cultures to think differently from the west. One can do back-translation and ascertain equivalence of terms, but not equivalence of meaning. Once "Death Anxiety" originates in a cultural setting it spreads to other cultures with some necessary variations. A "cognitive dissonance" is bound to happen in translating a text from English to Arabic and vice versa. Dissonance can be resolved by a rigorous historical analysis of origins and pre-suppositions. This is prec sely what phenomenology endeavors to do.

REFERENCES

- Abdel Khalek, A.M., Beshai, J.A. & Templer, D.I. (1993) The Structure of Templer's Death Anxiety Scale amorg Egyptian students, Psychological Reports, 72, 920-922.

- Abdel Khalek A.M. (1987) Kalak el-Mawt (Death Anxiety), Kuwait: Dar al-Marifa.

- Beshai, J.A. (1966) Behavioral Correlates of Cerebral Dysrhythmia in Delinquents and Normal. Unpublished Doctoral Dissertation, University of Kentucky.

- Becker, E. (1973) The Denial of Death, New York: Free Press

- Brislin, J.A. (1970) Back translation for cross cultural research. Journal of Cross Cultural Psychology, 1,185-216.

- Gelvin, M. A. (1970) A Commentary on Heidegger's "Being and Time", New York: Harper & Row.

- Hoge, D.R. (1972) A validated intrinsic religious motivation scale. Journal of the Scientific Study of Religion, 11, 369-376.

- Kastenbaum, R. & Costa, P.T. (1977) Psychological Perspectives on Death. Annual Review of Psycholog y, pp. 225-249.

- Kelly, G. A. (1955) The psycholo2y of personal constructs, New York: Norton.

- Kenniston, K. (1960) The Uncommitted: Alienated Youth in American Society, New York: Dell.

- Krieger, S.R., Eptig, F. R. & Leitner, L.M. (1974) Personal constructs, threat, and : attitudes toward death. Ome2a, 5. 299-310.

- Kubler-Ross, E. (1969) On death and dyin~. New York: Macmillan.

- Lester, D. (1967) Experimental and correlational studies of the fear of death. Psychological Bulletin, 67, 27-36.

- Lester, D. (1993) The Structure of Death Anxiety Scale among Egyptian students: a ' comment. Psychological Reports, 1993,72, 1378.

- Lonetto, R. & Templer, D.I. (1986) Death Anxiety. Washington, D.C. Hemisphere.

- Moghaddam, F.M., Taylor, D.M. & Wright. S.C. (1993) Social Psychology in crosscultural perspective. New York: W.H.Freeman.

- Neimeyer, R.A. and Franz R. Eptig (1992) Measuring Personal Constructs of Death: 20 Years of Research Using the Threat Index. In Neimeyer, R.A. & G.J. Neimeyer, Advances in Personal Construct Psycholo-zy, Vol. 2, pp. 121-147.

- Parsons, T. & Lidz, V. (1967) "Death in American Society" Essays in Self Destruction. Edwin Schneidman, (Ed.), New York: Science House, 1967.

- Rigdon, M.A., Eptig, F.R., Neimeyer, R.A. & Krieger, S.R. (1979) The Threat Index: A Research Report. Death Education, 3, 245-270.

- Said, E.W. (1978) Orientalism: Western Conceptions of the Orient, New York: Routledge & Kegan Paul .

- Schackelford, T. K. (2003) Assessing Individual Differences in Death Anxiety: A brief theoretical and psychometric review of the Threat Index. Omega, 46, 423-333.

- Templer, D. I. (1970) The Construction and validation of a death anxiety scale. Journal of Genetic Psycholo82, 165-177.

- Templer, D. I. (1976) A two-factor theory of death anxiety, Omega, Templer, D.I. (2004). Personal communication.

- Thorson, J.A., F.C. Powell, Ahmed M. Abdel Khalek, & J.A. Beshai. Constructions of Religiosity and Death Anxiety in Two Cultures: The United States & Kuwait. J. of Psycholozy and Theology, Fall 1997, vol. 25, 3, pp. 374-383.

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية

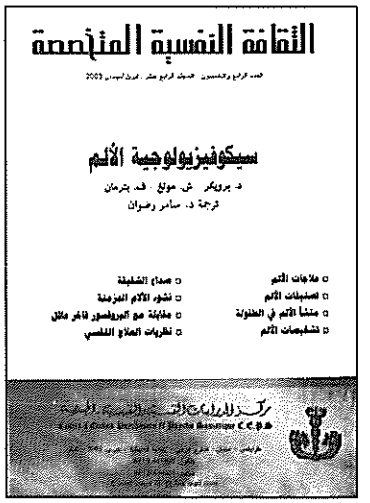

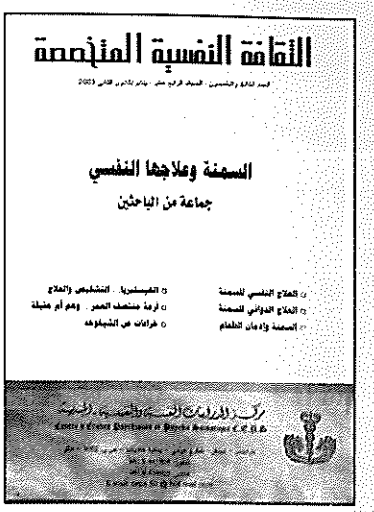

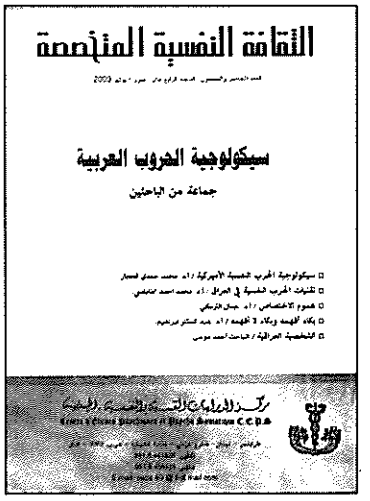

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW. FILNAFS. COM
WWW. PSYINTERDISC. COM
WWW. PSYCHIATRE- NABOULSI. COM

إصدارات
مركز الدراسات النفسية

هذا الكتاب موجّه للراغبين في تعميق معرفتهم لنفسهم وللآخرين وكذلك فهو موجه للفاحص النفسي، خاصة المبتدئ، بهدف مساعدته على التعرف في العمق إلى أصول الفحص النفسي وإلى مختلف المؤشرات (Indices) التي من شأنها المساهمة في وضع تشخيص أكثر دقة وشمولية.

في الخمسينات من هذا القرن دخلت السيكولوجية كعلم عالمنا العربي لأول مرة بفضل طموح وجهود نفر من الرواد الأوائل ومنذ ذلك الحين توالت الدعوات إلى إقامة سيكولوجية عربية. إلا أن غالبية تلك الدعوات انطلقت من دراسة وتحليل الشخصية العربية بدلاً من تركيز البحث على المقولات الأولية لهذا العلم ومداخله الأساسية كالاختبار النفسي والمصطلح النفسي والطب النفسي ومنهجية تدريس العلوم النفسية في معاهدنا وجامعاتنا.

هذا الكتاب هو أفكار أولية تدعو إلى توسيع حلقة النقاش حتى تشمل وجهات النظر المختلفة بعيداً عن الأسر العقلي وعن التمرد النرجسي.